أراجيد(١)

مجموعة قصصية

هدى الشريف

سلسلة رؤى من إصدارات يسطرون

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

الإشراف الأدبى

صالح شرف الدين

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : أراجيد
المؤلف : هدى الشريف
تصنيف الكتاب : مجموعة قصصية
تصميم وإخراج : سلسلة رؤى
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١١٦٠٤ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 667 - 8

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١١٥١٠٤٧٦٥٦ - ٠١٢٨٣٦٢٢٩٧٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى روح أبي و أمي مازالت ذكراكم تهديني السلام ودعواتكم تهديني النجاح .

إلى رفيقـــة عمري منال نبيـــل لولا وجـــودك معي ما كنت أســـتطيع البوح ..

إلى ابنتي مريم تعويذة القوة التي تمنحني القدرة علي الحياة ..

إلى كل عائلتي الصغيرة و كل الأصدقاء ..

إلى كل أهـــل النوبة عائلتي الكبيرة تمنياتي لكم بتحقيق حلم العودة ..

إلى الصقـــر الصغير محمد عـــادل عبد اللطيـــف أتمني لك التوفيق و أن تظـــل تذكرني .

إلى كل أصدقائي وقرائي وكل من دعمني وجودكم أعطاني القدرة على الإيجابية ..

إلى مـــن علمني ودعمني و أعطاني القوة علي الاســـتمرارهدية الرحمن ..

أهديكم جميعا:البهجه والفرحة...

أهديكم :أراجيد..

هدي الشريف

التقديم

السرد بين قسوة الألم وقوة الأمل

قراءة في المجموعة القصصية (أراجيد)

للكاتبة: هدى الشريف

بقلم: المستشار صالح شرف الدين

عضو لجنة النقد باتحاد كتاب مصر

— عندما يشعر الإنسان بالظلم، ويزداد هذا الشعور، ولا يجد من ينصفه، يجد نفسه بين خيارين: الأول أن يثور على الظالم، وعلى من سكت على ظلمه، ويسلك كل السبل ليعود له حقه، يصطدم بكل من يقف في طريق حصوله على حقه، وربما يزداد الظلم الواقع عليه فيصل إلى حالة من الإحباط، ويتحول إلى شخص

عدواني انتقامي يظلم كل من يتعامل معه حتى لو ظلم نفسه، فينتشر الظلم، وتزداد العداوات، ويتمزق نسيج المجتمع، ويسقط في أي مواجهة ؛لأن المظلوم لا يخلص في العمل، ولا يحرص على أداء أية أمانة يؤتمن عليها، فالشعور بالظلم والرغبة في الانتقام تعطل ضميره وعقله وإحساسه، وهو لا يدافع عمن ظلمه أو سكت على ظلمه، لذلك هلكت كل الأمم التي انتشر فيها الظلم ...

- أما الخيار الثاني فهو الاحتفاظ بقدر مناسب من التعقل، والسلام الداخلي، والثقة في أنه مهما طال الزمن لا يصح إلا الصحيح، والإصرار على استعادة الحق بقوة الإيمان بأنه حق، وبالوقوف مع كل مظلوم، ومعاداة كل ظالم، والتركيز على الوسائل السلمية في استعادة هذا الحق، والاستعانة بالمصنفات الأدبية لإظهار الحقوق، وبيان أهمية أن تعود هذه الحقوق لأصحابها، وفي سبيل استعادة الحق يجد نفسه في خندق واحد مع كل من وقع عليه أي ظلم من أي نوع ...

- مرت بي هذه الخواطر وأنا أقرأ المجموعة القصصية (أراجيد)،ووجدت الكاتبة قد تبنت الخيار الثاني، فركزت جهدها في المجموعة القصصية على نصرة المظلوم، والوقوف معه، وبيان حقه في الإنصاف، وصفت آلام القهر والظلم والغدر والجحود، ولم تتخل عن الأمل في غد يحمل الإنصاف :

- في القصة الأولى :(من أكون) تبين كيف يكون الجهل سببا في ظلم بيّن، بطل القصة لديه مشكلة في تكوينه الجسمي فهو فتاة في صورة فتى، وبدلا من أن يعالج الأهل المشكلة عند الأطباء وقد تقدم العلم واستطاع أن يحسم هذه المشكلة، بدلا من ذلك يستخدم الأب الجلد بالحزام ليجعل ولده يسترجل بينما الهرمونات الأنثوية تكون لها الغلبة

- وفي القصة الثانية : (المغترب) تبين كيف تضيع حقوق من يغترب لأنه محتاج للعمل فيظلمه الكفيل، وتصل المسألة إلى أن يشتري روحه وهو ضعيف مستسلم مقهور.

- وفي القصة الثالثة :(ساعتين زمن) تحكي عن حافلة تضم مجموعة من الركاب، وكم كبير من ظلم النفس، ومشكلات السفور، والخيانة، والنقل الجماعي، وحوادث السيارات .

- وفي القصة الرابعة :(أراجيد) وهي قصة المجموعة الرئيسة تبين الظلم الذي وقع على أهل النوبة منذ عشرات السنين، عندنا غمرت المياه بلادهم نتيجة لبناء السد العالي، ولم يهتم الناس بهم ولم تتم دراسة مشكلتهم بعمق،والتي تتلخص في أن الثقافة النوبية من آلاف السنين مرتبطة بالنيل ارتباطا حيويا من لحظة الميلاد حتى الوفاة، فكيف يتم توطين النوبيين في

الصحـراء بعيـدا عـن النيـل، ومـع اسـتقرار الميـاه في بحـيرة ناصـر، وعـدم وجـود خطـورة مـن ميـاه النيـل خلـف السـد، فمـن الإنصـاف إعـادة النوبيـين إلى شـاطيء البحـيرة، وفـق أي نظـام مأمـون يـراه المسـؤولون، أراجيـد هـذه الرقصـة النوبيـة الـتي تمثـل الفرحـة الجماعيـة مهمـا تعاظـم الحـزن تمثـل ثقافـة يحملهـا النوبـي ويعـض عليهـا بالنواجـذ .

وعـن بطـل قصـة أراجيـد تقـول الكاتبـة : «مـازال يذكـر حـين كان يقـف أعلـى قمـة منـزل علـي سـطح مرتفـع، لم تنـل منهـا الميـاه بعـد، كانـت الميـاه تجتـاح كل مـا يقابلهـا حتـى أنهـا تغـرق البيـوت، والمـآذن حتـى النخـل طالتـه الميـاه.

- يتذكـر أختـه الصغـيرة مـا زالـت صرخاتهـا تـدوي بأذنـه وهـي تهـوي في الفيضـان، بعـد أن أفلتتهـا قـوه الميـاه مـن يديـه، مازالـت نظراتهـا الملتاعـة تحرقـه كلمـا أغمـض عينيه محمـلا نفسـه ذنـب غرقهـا، فقدكانت تهوى الرسـم و غرقت جـدران البيـت معهـا بمـا تحتويـه مـن رسـوماتها الصغـيرة .

- كمـا يذكـر هـذا اليـوم في تلـك السـاحه أمـام دارهـم كان هناك :(كولـود) (٩)،وكل أهـل القريـه يرقصـون (الأراجيـد)(١) والفرحـه مرسـومه علـي كل الوجوه،بعدمـا غسـلوا وليدهـم بمـاء النيـل .

هـي عاداتهـم الـتي توراثوهـا مـن أجدادهـم لأخـذ بركـة مـن مـاء النيـل الخصـب الوفـير بالخـير .

- وهكـذا في باقـي قصـص المجموعـة تبرزقسـوة الألم، وقـوة الأمـل :

تحـب زوجهـا وتعطيـه عمرهـا، وعندمـا يمـرض تعطيـه كليتهـا، يتنكـر لهـا، ويطلقهـا، وتعـود لـتراه علـى فـراش المـوت تسـامحه، وتتمنـى أن تعطيـه كليتهـا الثانيـة .

- يتزوجهـا البيـه الـذي تعمـل عنـده، وتنجـب توأمـا، يأخـذ إحداهمـا ويسـافر، يتصـل بهـا بعـد سـنوات عديـدة، وابنتهـا علـى فـراش المـوت، وتمـوت الابنـة فتأخـذ حفيدتهـا وتمضـي .

- تسـلط الـزوج العجـوز وبخلـه وأنانيتـه، وكيـف تـداوي الأحـلام بعـض هـذا القهـر .

- تحبـه يحبهـا تسـقط في النهـر يلقـي نفسـه وراءهـا يحتضـن قـدره .

- ترى الشـر يخرب الأماكن، ولا تجد ما يوقف نباح الأشـرار .

- معانـاة كبـار السـن مـن جحـود الأبنـاء وإهمـال المسـئولين فيمـوت بعضهـم في طوابـير صـرف المعـاش كمـا ماتـت بطلـة قصـة يـوم الوفـاء

- قسـوة المـرض، وقهـر الجحـود: يتخلـى عنهـا زوجهـا عندمـا تصـاب بمـرض نـادر يحطمهـا الألم، وتفقـد بصرهـا، وتجـد مـن تـرى بعينيـة .

- عنف الأطفال مع الأطفال، وأثره السيء، وكيف تؤدي الرعاية الجيدة لتفوق الأطفال وتبرز مواهبهم .في قصة الصقر الصغير

- قلة الخبرة تودي به، فتاة جميلة تغريه وتلوثه، يعاني من قسوة الإحساس بالذنب، يخوض البحر حتى يغرق، وكأنها أنثى العنكبوت .

- تضحي من أجلهم بكل ما تملك، ولا تجد من يسقيها أو يطعمها عندما تكبر،يقتلها جحود من ضحت من أجلهم .

- أراجيد مجموعة قصصية تمثل رؤية واقعية اجتماعية فلسفية للحياة بين طرفي نقيض: قبح وقسوة و ظلم وقهروأنانية وجحود وتعذيب وخيانة وخداع، وموت من ناحية ...

جمال وحب وعشق وتفان وإخلاص ووفاء، وحنان، وإيثار، وحياة من ناحية أخرى .

في كثير من القصص امتد الزمان، وتعددت الأماكن والأشخاص، وقد عالجت الكاتبة ذلك بكثرة العودة للخلف، والمضمون الواحد الذي تتناوله كل قصة، والتركيز على الرسم الاجتماعي والنفسي للشخصيات ...

رغم أن الموت جاء حلا لكثير من القصص فإنه جاء ليزيد الفكرة قوة فالكاتبة تحمل هم مقاومة القبح وسوء الخلق، وتجد في الموت موعظة ربما تحرك مشاعر لم تشعر بمعاناة الضعفاء :الطفل والمرأة والفقير والمظلوم، تحركها فتسعى للإصلاح حتى لا يصبح الموت حلا لمشاكل يمكن أن تحل بغير الموت المؤلم لكل صاحب قلب وإحساس .

أراجيد مجموعة قصصية تستحق الاحتفال تأخذنا لنتطهر بالألم، وكأنها تعالج مرضا مستعصيا بأن تكوي موضع الألم بالنار، فلا تملك وأنت تقرأ إلا أن تتألم، ومن الألم ينبع الأمل، وأحسبه سر أسرار أراجيد ..

— نتمنى للكاتبة دوام التوفيق في القادم من أعمال...

ونتمنى لكم الاستمتاع بالإبحار في أراجيد .

الجيزة – مصر

٢٠١٨م

من أكون

- في كافيتريا القطار تجلس شاردة تاهت روحها، بغياهب جب عميق، تشعر بالظمأ، وبيديها كوب ماء ذاب ثلجه من حرارة أنفاسها الملتاثة يلتهم القطار الأرض التهاما يطوي المسافات مسرعا لينقلها إلى عالمها الجديد .

- علي وجهها جمال مختلف يشعرك بالغرابة، مرحة إلى حد ما، ضئيلة الجسم، قصير شعرها جدا و ناعم، بعض خصلاته علي وجهها تتناثر بفوضى، ترسم ابتسامة مزيفة حين يحادثها أحد، تتفوه بكلمات تحاول أن تخفي صوتها، حتى ملابسها توحي أنها مبعثرة من الداخل ..

- تأمل أن تجد عالما مختلفا عمّاعاشته بمدينتها، يقشعر بدنها حين تهاجمها تلك الذكريات التي قهرت فيها كرامتها . خرجت من مدينتها حتى تتخلص من ذلك

الألم الذي يمتطي جسدها و لا تستطيع البوح به لأحد، في محاولة منها للتخلص من مآساتها .

- تلك المأساة التي لم يكن لها يدٌ فيها، وخصّها بها القدر ورسمها علي تفاصيل جسدها المختبئ خلف تلك الملابس المبعثرة، مجتمعنا لا يرحم، وشم بالفصام، يهرب من مواجهه ذاته، ويلقي باللعنات على كل ما هو غير مألوف .

- شاردة دائما، تفضل الانطوائية، التردد يسيطر عليها، كأنها تبحث عن شئ ضائع منها و تبدو نظراتها كمن يبحث عن إجابات في اختبار صعب لأسئلة خارج المنهج، وحدها تعرف أن لديها هدفا تسعى إلى تحقيقه بالرغم من غرابته .

- يومها الأول:

تبتسم على صوت ضحكات الشلة المجاورة لها بالكافيتريا ابتسامات متقطعة، كأنها تبعث لهم أشارات أنها تتابعهم لكنها تنتظر الخطوة الأولى منهم لضمها للشلة، اقتربت منها أحدى الفتيات لتعرفها بنفسها لتعبر بها أولى درجات المدرج و تعرفها بأصدقاء الدفعة مجموعة من الشباب و الفتيات ..

- اليوم التالي:

تلمح فئات الطلبة من طبقات مختلفة بالمجتمع، تقترب منهم، تحتضن أجندتها وكأنها تختبئ خلفها من شئ مجهول، تحتمي بها من نظراتهم الموجهة إليها محاولة منهم لتقصي حقيقتها المستترة وراء ملابسها المثيرة فلكل منهم قصته و يسعى أيضا ليكتشف قصص الآخرين .

— اختارت تلك الفتاة المرحة لتكون رفيقتها تحكي لها كل ما يدور في عقلها ليصبحا صديقتين ..

— تسالها الصديقه لماذا نقلت ؟

و ما سر هذا الوجه العابس و الصوت الخافت ؟

— تجيبها بحزن متعلثمة كلماتها أنا ..

— أنا أعاني من فقدان الثقة في النفس، لا أحب نفسي كثيرا أشعر بالضعف ليس لدي هدف، أهلي دائمو الاضطهاد لي، أشعر بالضعف الكل يستهين بي، خاصة إخوتى الصبية الكبار فقررت السفر بعيدا عنهم لاختيار طريقي، لدي رغبة في وضع أهدا ف في حياتي منها الصداقة إقامة علاقات اجتماعية، حياه مختلفة أكون فيها راضية عن نفسي .

— تحتضنها صديقتها في محاولة منها للتعبير لها عن مساندتها.

- كانت دائما يجذبها مصادقة الشباب لا تجد نفسها إلا بينهم، تحدث نفسها قدرت لي الحياة منذ الصغر أن أسقط في هذا الفخ، لم يكن لي وقتها مناص من الوقوع فيه بعد أن وجدت نفسي في وضع لا أفهمه وشاءت الظروف أن تنحط إليه نفسي فلا أستطيع المقاومة .

- تعود إلى أيام جامعتها بتلك المدينة التي أتت منها، كانت تعاني من كونها شاب معروف عائلته ولا يستطيع أن يمارس الحياة الأنثوية داخله وحين كان يظهر ليونة في كلام أو حركات لا إرادية لا ينجو من سخرية الزملاء، فقرر السفر إلى العاصمة، ونقل أوراقه لجامعة أخرى حتي يتغلب علي تلك المشكله و يستشير الأطباء لما تهوى النفس إليه و لا كابح لها ..

- وكان دائما يسال نفسه :أنا لا أعرف من أكون ؟

- منذ أن بدأت أعي الفرق بين الذكر و الأنثى وأنا أعاني بين ميولي و حقيقتي وكأنني بين شطرين ونصل سكين حاد ينتظرني .

- أرفض كوني شاب و بداخلي كل هذا الاضطراب، فأنا أجد نفسي تميل للأنوثة، منذ كنت صغيرا ألعب مع صديق الطفولة دور البنت، يداعبني و أداعبه و كنت أمثل دورالأنثى بجدارة أستمتع به و أشعر بالنشوة..

وكـبرت و بداخلـي ميـول أن أصبـح أنثـي وألبـس ثيابـا ملونـة وكنـت أختلـس بعـض قطـع ثيـاب أخـتي الكبـيرة، أرتديهـا أشـعر أنـني مثلهـا لا ينقصـني سـوى تغـير الجنـس ولا يسـتهويني كونـي رجـلا .

— أصبـح الأهـل حولـي يتهمونـي بأشـد أنـواع الاتهـام لا أحـد يسـتطيع أن يشـعر كـم الألم والتمـزق داخلـي، أصابـني الاكتئـاب، أقدمـت علـي الانتحـار أكثـر مـن مـرة، أصبحت أكـره ذكورتـي المسـتترة، وكل همـي الخـلاص منهـا .

الآن عيـش حيـاة الأنثـي مـن داخلـي متناسـيا ذكورتـي ولا يذكرنـي بهـا إلا وضعـي الجسـدي و أقـراص الهرمونـات الـتي أتناولهـا لتزيـد الأنوثـه و تدمـر ذكورتـي.

— عرفـت أن عمليـه تحويلـي مـن شـاب إلى فتـاة مرتفعـة التكاليـف، لا تتـم إلا في أضيـق الحـدود، لهـا شـروط، قواعد طبيـة وأنـا لم أعـد أحتمـل آلامـي الجسـدية و النفسـية، لم تعـد لـديّ كل هـذه الطاقـه لمحاربـة الظـروف المحيطـة بـي .

أحيانـا أجلـس وحولـي بعـض مـن الشـباب يشـرد ذهـني، أنـا أحسـدهم لرضاهـم بحالهـم و أنعـي حظـي لم يعـد لـدي أيـة مقـدرة علـى مواصلـة تلـك الحيـاة المزدوجـة .

— هل سأستسلم ؟

أم اعتزل زيف العالم حتى أرحل في هدوء ؟

أم أحارب لعلي أحسم أمري؟ .

- ما تلك العاطفة المشوهة داخلي تمزق أوصالي، تخترق أضلعي، تحرق ما تبقى من آدميتي، تعربد داخلي تجعلني أشتاق و التاع لحياة، لا تعيد إليّ رضا نفسي وبعض من شتاتي .

- اليوم الأخير:

يخرج من باب الجامعة، يجده أمامه بوجهه الغاضب، بكل إصراره علي تعديل هذا المسار غير الصحيح من وجهة نظره، يقبض علي يده يجرجره، تزداد قوة يديه علي معصمه و بدون كلمه يزج به داخل السيارة إنه والده الذي يعكس الوجه الآخر للمأساة .

- غاضب من كونه فشل في تقويم سلوك ابنه الجنسي، ساخطا على كل الأطباء و الشيوخ و الدجالين كيف لم يجد عندهم حلا لمأساة ابنه .

- تصل السيارة إلى تلك القرية، يدخل منزلهم وهو يسحبه من يده، مباشرة إلى تلك الحجرة المظلمة التي اعتاد عليها منذ طفولته.

- يرى تلك الأحزمة التي طالما رُبط بها دون فائدة، ينظر لوالده متوسلا أن يفك عنه قيوده، لكنه يبتعد بنظراته

عنـه و يسـرع ليحضـر أدوات التعذيـب ليبـدأ في العقـاب .

- يتأمـل جـدران الغرفـة فهـو اعتـاد علـي وجوده بهـا وبينهما ألفـة هـو لا يخشـاها، يرمـي بجسـده علـي مرتبـة بـالأرض في ركنهـا المظلـم، ينتظـر جلـدات سـوط أبـوه، تـاركا روحـه التائهـة خـارج هـذه الجـدران لعلهـا تسـبح في فضـاء رحـب باحثـة عـن الخـلاص...

المغترب

- في حديقة القصر الواسعة بين أشجار جفت أوراقها وهجرها الربيع كما هاجر هو من بلاده هاربا من جحيم أطبق فكيه عليه ليعتصر روحه التي لم تعد تقوى أن تحيا في بلاده استقر في تلك البلد التي تقع علي الحدود بين طرف الدولة و صحراء دولة أخرى، تذكّره بصحراء حياته، بعد أن ضاق به الحال وعصر الفقر دمه، فصار ينزف يأسا .

- يأتيه صوت سيدة توقفت بسيارتها الفارهة أمام بوابة القصر، وهي تصب اللعنات علي خادمتها الأسيوية الجنسية، تبدع في إهانتها، وتصفعها حتى تمعن في إذلالها .

- جاءه صوتها ليذكره بزوجته التي طالما افتعلت المشاكل معه، تعيد له أيام زواجه من ابنه عمته، تلك الزوجة

التي لا تجيد إلا فن النكد تمزجه بصوتها الصاخب الحاد الذي يشبه لحنا شاذا تناثرت حروفه الموسيقية، كان صوتها سكاكين قطعت كل حبال الود بينهما .

— كان يجد سلواه بين سطور كراساته وأوراقه، حين يهرب بهما إلى عالمه الذي يعشقه، لقد كان عاشقا للبوح حين ينزف قلمه ليسجل كل أوجاعه .

— وكانت الزوجة لا تجيد الا طريقة وحيدة للبوح (التهكم) علي كل تصرفاته و السخرية من إبداعه، تحط من شأنه و تفضح معاناته وعدم قدرته علي تلبية احتياجاتها .

— ترتعش يديه وهو يلتقط هاتفه المحمول الذي يرتعش من الرنين كأنهما حبيسي قهر متسلسل .

— يجيب بصوت خافت مرتجف .(تمام، حاضر، تكرم يا شيخ، حاضر) لايعرف رد علي صاحب العمل إلا تلك الكلمات تمنى لو أنه يستطيع أن يتخلص من تلك الرجفة التي تسكن يديه و يقذفه بالهاتف في وجهه ويعود حاملا حقيبته إلى بلاد الفقر ليحظى بإنسانيته فقط .

— هو فقط حارس البوابة .

— في إحدى الليالي القمرية التي تزين بها القصر، وحدائقه الواسعه استعدادا لاستقبال المطرب العربي الشهيريسمع

نقاشا حادا بين رجل و امراة، لم يكن يعلم أن ما سمعه سيفتح عليه بوابات الجحيم .

— اختبأ و بعد عدة دقائق شاهد الرجل يخرج مسرعا بدون المرأة ..

— انتظر، أعتقد أنها ستخرج من الحديقة خلفه طال انتظاره ..

قتله الفضول !

— تقدم عدة خطوات نظر بين الشجيرات رأى المرأة غارقة في دمائها، انتفض، جرى مهرولا إلى سيده صاحب القصر..

أحاطه علما بكل ما رآه، وصف له صديقه الثري الذي كان معها لم يكن يعرف أنه يحفر قبره بيده ..

— إنه سيكون كبش فداء للثري صديق «الكفيل»

— قبض الكفيل علي يديه جرجره خلفه وانزوى به في ركن ووضع يديه علي كتفه بهدوء تام...

— صمت ...

— لحظات مرت كالدهر، صخب، شرطة، يرى و يسمع ولا يفهم شيئا .

— اقترب منه الكفيل أكثر، همس في أذنه :أسرتك هتكون في عينّي.

- ارتبك تقطع صوته (أن ا.. م ع م ل ت ش.. ح ا ج ة)
- أنا بريئ..
- لم يستوعب عقله سرعة بديهة الكفيل لم يكن يتخيل جبروته وهو يطلب منه أن يعترف بجريمة لم يرتكبها .
- ظلم آخر يضاف إلى قائمة الأحداث الظالمة في حياته ولكن هذه المرة يتعلق الأمر بعمره فلن ينال إلا حد القصاص..
- لن يفيده استسلامه أو خنوعه للظلم لابد أن يقاوم لأول مرة بحياته لينقذ نفسه .
- مرت الساعات في اجتماعات لم يكن طرفا فيها، قررت مصيره في بلاد الغربة
- قصاص لا يمت له بصلة، وشم عار التصق باسمه ظلما ....
- كثير من الأموال ستصل لبلدته قبل وصول جثمانه .
- ابتلع الظلم لقد اعتاد على طعم مراره، شاخصا بصره للسماء ...

يدعو في صمت ...

يااااالله ...

ساعتين زمن

- كانت ذاهبة إلى بلدتها في سيارة أجرة، انطلقت في بطء ووهن شديدين وكأنها تشكو من الركاب، لم يلحظ أحد منهم هذا الألم الموجع، وصرخات إطاراتها التي تحتضن الأسفلت، و تشكو انشغال الركاب وأصواتهم اللعينة التي تأتي عبر هذا الجهاز الصغير (الموبايل) الذي نافس كاسيت السيارة الذي طالما انبعث منه صوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد، ليخفف من آلام جسد السيارة المرهق .
- هذا كان واضحاً من الشخص الجالس خلفها، يتحدث عن خلاف مع زوجته بصوت مرتفع عن مصروفات البيت وبين ارتفاع صوت الرجل وحشرجته وشكوته من ضيق ذات اليد حيث ما تطلبه زوجته لا طاقة له به...

(جميع الركاب ينصتون)..

– الرجل :

(أجيب لك منين، أسرق يعني إنتِ لازم تقلدي أختك، طب جوزها يقدر يركب تكييف، أنا الصبح موظف وبالليل مرمطون، إنتِ مش هترتاحي إلا لما تجيبي أجلي)

– يكتشف فجاءة أن جميع الركاب ينصتون ..

– يعلو صوته أكثر مرددا...

(اقفلي بلاش فضايح)

– بين شعورها بأنين السيارة المُثقلة من أجساد الركاب وحشرجة صوت الرجل وخجله ساد الصمت .

– كسر هذا الصمت رنين هاتف تعلو نغماته عالية مرددة:

(بالورقة و القلم خدتيني ميت قلم أنا شفت فيكِ مرمطة وعرفت مين اللي اتظلم عارفه سواد العسل أهو ده اللي حالك ليه وصل) .

وكان يجلس خلف السائق مباشرة ..وبدأ حواره :

– (جوازة إيه يا بني ده أبوه اللي مجهز الشقة و عامل له الفرح وحتى الشبكة جابها له و الله ما تعب في أي حاجه، أنا عايز أعرف الفلوس اللي تعمل بيها الفراشة من أول الشارع لآخره .جابوها منين، ده غير الحشيش و الرقاصة والبيرة، و البلطجية اللي محوطين

الشـارع كأنهـم بيحرسـوا رئيـس الجمهوريـة .)

يقطع حديثه موجها كلامه للسائق :

(إيه يا اسطى ما تشد حبه، الطريق فاضي يا عمنا)

- يعلو صوت راكب آخر ضاحكا :

(ما تسيبه ده ناوي يصلي بينا الفجر هنا)

- هـي جالسـة صامتـة تتأمـل حديثهـم مُسـتغربة مـن بـرود السـائق وعـدم رده علـى الـركاب ...

- مـازال عـداد السـرعة يئـن كنبضـات قلـب يوشـك علـى التوقـف وبـين أنـين السـيارة المرهقـة مـن الأجسـاد المترهلـة ورنـات الهواتـف الـتي لا تنقطـع وبـين عـداد السـرعة الـذي يـكاد يلفـظ أنفاسـه، وضعـت رأسـها بـين كفيهـا، يخـترق أذنيهـا صـوت خافـت يهمـس أيـوة يـا حبيبـتي، تخيلـت للحظـه إنـه يكلمهـا، ببـطء رفعـت وجههـا ؛ لتجـد شـاباً بجوارهـا يحتضـن هاتفـه بقبضـة يديـه .

- يهمـس : أيـوة يـا قلـبي هانـت قربـت أوصـل، قولـي لـي البيـت فـين بالظبـط، إنـتِ متاكـدة إنـه بايـت في الشـغل النهـاردة، مـش أبـوكِ لـو كان وافـق كان زمنـا في بيـت واحـد، هـارن لـك أول مـا أوصـل الموقـف، ويغلـق هاتفـه...

- مشدوهةً تحاول فهم الحوار الذي قاله الشاب الجالس جوارها، ودون وعي منها تلتف إليه، تتأمله تتلاقىعيونهما ..

- يرى هو هذا السؤال المطل من عينيها، يبتسم، يلتفت إلى الجانب الآخر، يباغتها مرة أخرى بالنظر إليها ليجدها متجمدة تنظر إليه تسري رعشه في جسدها، تدرك أنها تدخلت فيما لا يعنيها، تصوب وجهها بعيداً عنه متجهة إلى المرآة التي أمامها بالسيارة .

تلاحظ وجه امرأة جالسة خلفها تتحدث بصوت مرتفع مع رفيقتها بدأ الحواريرتفع صوته تدريجيا وكأنهن أصررن على أن يثبتن وجودهن في السيارة .و بدأن في سرد قصص الخطف المنتشرة للفتيات هذه الأيام .

- هي كانت لابسه دهب ..

- لا ده دهب صيني بتاع اليومين دول ..

- يمكن بقى أبوها غني وعاوزين فلوس ..

- ولا يمكن بتوع خطف الأعضاء اللي بيسافروهم لبلاد برة .

يتدخل راكب في الحديث

- ياستي البنات لابسه بنطلونات مقطعة وجسمهم باين والشباب تعبانين ومافيش فلوس يتجوزوا.

- يمتـد وينتشـر الحـوار داخـل السـيارة كالنـار في ِ الهشـيم، يتكلـم الـكل في وقـتٍ واحـد كل اثنـين مـع بعضهمـا و لا يهـدأ الحـوار الممـزوج بالفتـوى مـع الإشـاعات والقسـم بأغلظ الأيمانـات .
- رنين هاتف يعلو ولا ينقطع الحواريصرخ قائلا:

وحدوا الله كده عايز أسمع المكالمة

- إنا لله وإنا إليه راجعون ...
- أنا أوصل الموقف بس و أركب وأرجع..

ساد صمت رهيب وأعقبه وابل من الذهول .

- قاطعه، أحدهم قائلا :

البقاء لله..

- وظلت الكلمه تتردد علي شفاه كل الركاب ...
- وساد الصمت وعلا صوت شخير السائق .

أراجيد

- وقف.. و من أعلى التل دمعه بعينية تسيل، على مجرى شقوق خديه التي حفرها الزمن بقسوة، يبكي على رفات تركها خلفه، يتذكر بيوتاً كانت مبنية بالطمي بأعلى الجبل بإلوان زاهية وزخارف تحمل تراثا وموروثا شهد عليه النيل كما شهدت عليه أشعة الشمس .

- رائحة طمي النيل التي كانت تجعل أشعة الشمس لا تخترق الجدران، فيصبح الدار دائما طقسه ممتع بسبب القباب بالأعلى بديلاً عن السقف،المعتاد و ممزوجاً برائحة النيل ..

- كانت الألوان الدافئة حول الجدران تعطي روحه تعويذةً دفءٍ، و تمتد معه حتى جدران مدرسته،المزخرفة بتلك النقوش الملونة، كأنها تحكي للأطفال كم هي عظيمة حضارتهم و ثقافتهم بشموخها، التي ورثوها من أجدادهم

الفراعنة يتذكر كيف يرددون أغانيهم الصباحية، ويمارسون ألعابهم أمام الدار بعد عودتهم من المدرسة و لعبهم تلك اللعبة :

(تاب بقشر البرتقال)

لم يجد ما يعوضه عن ذكريات القرية التي لم تعد تفارق مخيلته .

- ينصت..
- و كأنه يسمع صوت جدته تهدهد أخته الصغيرة:

(ايلا وكدود تو تاتيه)(٢) ..

ثم تنادي عليه وهو يلعب أمام الدار مع (أنهيل) (٣)

تردد النداء مرة أخرى

(كال بأ روكنيبى) (٤)..

فيسرعون إلي داخل الدار علي رائحة الطعام (الجاكود) (٥)

وجبته المفضلة مع (الكابيد)هذا الخبز الشهي ..

- كان يحب الصيد والزراعه تلك المهن التي نشأ عليها ووجد الأهل يتقنونها، كان يوم النزول للصيد بمثابة يوم العيد، يتمتع بماء النهر حين يغمره والده

(كشكت موجس).(٦).

ويظل يداعبه :(هاخلي التمساح ياكلك لو مشتغلتش)

- كان يساعد والده في حل الشباك و تنظيف المركب و تخزين الأسماك .

- فهي لم تكن للتجارة بل للطعام و إهداء الجيران منها.

- كم كانوا يعيشون بهدوء، حولهم أهالي قريته المتفرقة بيوتهم لأعلى الجبل حتى يأتي الفيضان ...

فلا يطول إلا الأرض فيترك طميه الممزوج بالخيرات ويرحل تاركا الأرض خصبة لزراعة الموسم و بقايا طمي للبناء.

- ومازال عالقا بذهنه القهر الذي تعرض له هو وأهله وتلك الطريقة التي مات بها الكثيرون من قريته وقرى مجاورة أثناء التهجير ...

وكانوا يرحلونهم في صنادل نهرية مخصصه لنقل المواشي.، لا تحمل أمه وجدته إلا بعض الأواني، مع «بؤج» من الملابس جمعت في عجاله دون ترتيب .

- كانت السلطة تدفعهم للرحيل بكل وسائل القمع، مازال عالقا بذهنه صوت بكاء النساء والأطفال يدوي و يعلو نحيبهم، تاركين خلفهم ديارهم وتراثهم، حتى مقابرهم لن يزورها مرة أخرى.

وزاد الألم حين وصلوا إلى تلك البيوت الخرسانية التي خصصتها لهم السلطة ولا مياه ولا إنارة ولا صرف ..

- كانت بعيدة عن النهر الذي اعتادوا أن يتوحدوا فيه ويداعبوا تماسيحه .تخنقهم جدرانها، لا تحمل روحهم ولا تراثهم الذي تركوه خلفهم و أغرقه ماء النهر .

- شتان بين تلك المسوخات الخرسانية التي لم يعتادوا عليها وبين فضاء كان يحتضن أمانيهم كتبوا علي جسده :

(اي نوبي ما).(٧)

- كان من الذين عاصروا الفيضان قبل بناء السد، تلك القبائل التي تسكن منطقة تمتد على ضفتي نهر النيل، ممن تركوا رفاتهم في أرض غمرها الماء و طمس هويتها الأصليه :

(أهل النوبة) (٨)

- مازال يذكر حين كان يقف أعلى قمة منزل علي سطح مرتفع، لم تنل منها المياه بعد، كانت المياه تجتاح كل ما يقابلها حتى أنها تغرق البيوت، والمآذن حتى النخل طالته المياه.

- يتذكر أخته الصغيرة ما زالت صرخاتها تدوي بإذنه وهي تهوي في الفيضان، بعد أن أفلتتها قوة المياه من يديه، مازالت نظراتها الملتاعة تحرقه كلما أغمض عينيه محملا نفسه ذنب غرقها، فقدكانت تهوى الرسم و غرقت جدران البيت معها بما تحتويه من رسوماتها الصغيرة .

- كما يذكر هذا اليوم في تلك الساحه أمام دارهم كان هناك :(كولود) (٩)

وكل أهل القريه يرقصون (الأراجيد) والفرحه مرسومه علي كل الوجوه،

بعدما غسلوا وليدهم بماء النيل .

هي عاداتهم التي توراثوها من أجدادهم لأخذ بركة من ماء النيل الخصب الوفير بالخير .

- يعلو صوت آذان المغرب، اعاد إليه حنينه لطقوس الإفطار في رمضان، عند حلوله يبدأ الرجال والصبيه في التدافع إلى المساجد حاملين المياه والبلح و(الإبرية) (١٠) ليفطروا سوياً في مسجد كل قرية ثم يعودون مرة أخرى ليجدوا صواني المأكولات(العصيدة) (١١) وغيرها من الأطعمة مرصوصة علي الأرض الترابية المغطاة بالحصير الأسواني أمام كل دار، لم يكن هناك دار يفطر أهله داخله كل الصواني بالساحات وليس فقط برمضان فالطعام دائما موجود بكل دار لكل عابر سبيل .

كم يفتقد، الجلوس علي المصطبة في العصاري وشرب:

(اتشي كوول مع الجرجوش)(١٢)

- داخله بركان ألم لم ينفجر بعد، لقد أُغتيل حلمهُ، وكل أحلام قريته حين أجبروا علي الرحيل، كان التهجير

بمثابة الموت داخلهم، مازالت ملتاعة روحه تتلوى على جمر الفراق تشتاق العودة لأرض الأجداد .

- ينزل من أعلى الجبل يصافح النهر بيدية يغسل وجهه مع قطرات المياه المتساقطة من خلال لحيته البيضاء ظل يردد :

(أليم أشري كيل وه نوبا، أركى جو تانيلى ونوبة)(١٣)

(أليم أشري كيل وه نوبا، أركى جو تانيلى ونوبة)

أبجدية القيد

- ترتفع بها الطائرة، تحلق، تغادر بلاد احتضنت آلامها، و كانت هى طوقها للنجاة تسبح في سماء ذكريات كانت تظن أن الزمن أغلق أبوابه عليها بسلاسل فولاذية، عالم غريب ورحلة غير متوقعة، مرغمة عليها .
- كانت قد وجدت نفسها في بلادها الجديدة، لكن شاء القدر أن تعود لبلادها التي صبت الملح في جراحها بعد أن جاءتها تلك المكالمة التي حملت معها ريا ح ماض يئن .
- كان لابد وأن تعود لتراه، فهو على فراش الموت، بعد أن هزمتها ورقة على يد محضر و أجهزت على ما تبقى منها .

لكـن إصـرار أختـه صديقـة طفولتهـا عجيـب، إن روحـه تأبـى أن تغـادر إلى السـماء قبـل أن يـراك ..

أعـوام مضـت متثاقلـة حاولـت خلالهـا أن تسـتعيد كرامتهـا المبعثـرة .

— تبتسم..

— لتتجـرع مـرارة عالقـة في مآقيهـا، وكـم هـو غريـب طبـع البشـر، يـود الآن أن يرانـي، بعـد أن أوشـكت أن ألملـم بقايـاي، ويتماثـل وجدانـي للشـفاء .

— غاصـت الطائـرة في أعمـاق السـماء عائـدة بهـا إلى موطنهـا، غاصـت هـي أيضـا في أعمـاق سـنوات لم يتبـق منهـا إلا تجاعيـد لا تراهـا إلا عندمـا تنظـر إلى وجههـا، ودون أن تشـعر فتحـت حقيبتهـا، مـدت يدهـا لتخـرج تلـك المـرآه اللعينـة الـتي لا طالمـا شـهدت ربيـع وجههـا .

— علـى أعتـاب بوابـة الذكريـات، انصهـرت تلـك السلاسـل الفولاذيـة و انهمـرت فيضانـات الشـوق لتجـري في عروقهـا الـتي جفـت علـي شـواطيء الحنـين .

— كانـت تعشـق رائحتـه المزوجـة بأنفاسـه السـاخنة ودفء دخـان سـجارته العالـق بشـفتيه وعطـره الـذي يلقيهـا في دوامـات البـوح، وأصابعـه الـتي كانـت تسـتطيع أن تبعثـر

كل فضاءات جسدها، ثم تعيد ترتيبه، ثم يعبث بعينيه في جسدها المستسلم، فيرويها بابتساماته المتعطشة .

وحين كانت تجلس تحت قدميه تخفف عنه آلام جسده المبرحة، عندما أخبرها الأطباء أن كليتيه لم تعودا قادرتين علي العطاء...

- فتحت عينيها علي صوت ارتطام عجلات الطائرة بالأرض؛ يعلن عن وصولها، تستعد للمغادرة ...
- انتابتها رعشه حين احتضنها هواء مدينتها ...
- تغادر المطار متوجهه إلى المستشفي ...
- تصل ...
- تسأل إحدى المرضات عن رقم الغرفة ...
- تقف على اعتابها، تتسارع نبضات قلبها ...
- يجف ريقها، تزوغ نظراتها، تدق على الباب دقات خافته...
- تمنت ألا يسمعها أحد وأن لا يفتح هذا الباب، فتتراجع و تسرع خطواتها

و تهرب .

- وقفت متجمدة الأطراف ,، ممد هو أمامها على فراش الموت، ومازال عطره يملأ المكان، ويتوغل رغما عنها بين حناياها، ليذيب برودة أطرافها المتجمدة

تتحسس أطراف أصابعه .

- شعر بأنفاسها، نظر إليها بصعوبة ..
- سامحيني، يقاوم لتصل شفتاه إلى أصابعها ...

يقبلهما و دموعه تسبقه ...

سامحيني ...

- ودت أن تمد يدها داخل جسده لتنتزع كليتها التي أهدتها له عن طيب خاطر ذات يوم، ليعيش بها وتموت هي من غدره، ودت أن تصرخ فيه :

لماذا أو همتني بحبك !؟

- ودت أن تعود سنواتها المنهوبة ..
- ودت أيضا أن تهبه ما تبقي لها من عمر .

سحبت أصابعها، لتضعها علي شفتيه، تساقطت دموعها لتهديه صك الغفران، تأكدت الآن أنه مازال يحيا داخلها...

– تحسست مكان جسدها، قبضت بيديها علي جنبها ..

– تنفست ...

– ملأ وجهها أملا ودت أن تعطيه كليتها الأخرى ليعيش ...

– تنهد هو بصوت عالٍ..

– غاب عن الوجود ...

استنشقت هي أنفاسه الأخيرة حين لفظها...

فتحت حقيبتها أخرجت جواز سفرها، مزقته وجلست تحت قدميه.

بنات عمري

– علي تلك العربة الخشبية الملونة، التي زينت جوانبها لمبات غير متناسقة ارتسمت بها كلمه «اللّه» و كتب بجوارها عدة عبارات :

(...دوق الشهد و أشكر، أحلي بسبوسة بالسمن البلدي،

صنع إيديّ و حياة عني...)

كانت قد ورثت تلك العربة عن زوج أمها هذا الرجل الريفي البسيط الذي رباها في كنفه حتى أنه سمى عربة البسبوسة باسمها و أعطاها سر الصنعة، لم تكن يوما تشعر أنه ليس أبوها فحنانه و عطفه عليها جعلها تشعر أنها ليست يتيمة .

تقف علي وجهها الابتسامة كل مساء علي ناصية الحارة تبيع البسبوسة راضية بما رسمه القدر لها...

- تقف بشموخ يلتف حول رأسها منديل بؤوية بألوانه النارية وكورات متدلية منه توجتها، ليحمي شعرها المتناثر في فوضى بعيدا عن وجهها الغض .....

- نظرت لتجد ذلك الرجل الذي اعتاد أن يأتيها في نهاية كل أسبوع، فتمتد يديها لتصنع له الطبق المعتاد ...

- مبتسما يأخذه و يغادرني صمت، يتركها تتساءل :

لماذا يأتي إليها ؟

فهيئته توحي بأنه يستطيع أن يشتري من أفخم المحلات.

ذات مساء تكلم و هوينظر إليها بمودة و بعينيه ألف سؤال .!

- تمتم بصوت خافت : شهد ..

- بغرابة رددت :أيوه أيوه: شهد، شهد يا بيه..

هذه المرة ترك طبق البسبوسة...

لم يسعفها صوتها حين ودت أن تنادي عليه، وظلت في حيرة من أمره لم تنم ليلتها، وكلما ودت أن تحكي لأمها ترفض الكلمات أن تخرج من فمها .

تمر أيام و يظهر أمامها مرة أخرى هذه المرة حاملا بيده ظرفاً برعشة يهمس

ممكـن تخلـي أمـك تشـوف الصـورة دي، ويختفـي بسـرعة مـرة أخـرى .

— مندهشة...

— تجـر عربـة البسبوسـة أمامهـا بقـوة تـأكل الأرض تلتهـم الأسـفلت، في عجلـة مـن أمرهـا لتلحـق بأمهـا قبـل أن تنـام مبكـرا مـن أثـر العـلاج .

تدخـل إلى الغرفـة و بأحـد أركانهـا تـترك عربـة البسبوسـة فقـد كان هـذا الفنـاء سـكنا لهـم و للعربـة...

— (يامّا إصحي ياما .. إصحي ....)

— تفتـح الظـرف، كأنهـا صـورة لهـا مـن شـدة الشـبه بينهمـا، تقـترب مـن أمهـا ....

— مين البنت اللي في الصورة دي ؟

— إزاي شبهي أوي كدة. ؟

فهميني ؟

ومين الراجل معها في الصورة؟

— اتكلمي ...!

— ترجع الأم بجسدها مترنحة تضع يدها فوق رأسها ...

— بنتي.. البيه الكبير خدها مني من غير ما أشوفها ..

– أنا كنت بس ماعون لأسرة غنيه بنتهم مبتخلفش ...

علشان أبويا و سبع إخوات يقدروا يعيشوا...

– عشت زوجه للبيه في السر وخلفتكم توءم أخدها مني، ومشفتهاش ولا مرة، سافروا بلاد بره وخدوها، أنا كنت أرملة كتب عليّ البيه و طلقني بعد ما خلفت وبعدها أخدتك ...

– إتجوزت و ربيتك، نسيت نارها، لما شفتك بتكبري قدامي، كنت بحبك حبين .

– رجعوا هي عايشه، كويسه يعني .

قال لك إيه، هو عايزني أشوفها، كلميه و حياة النبي أشوفها بس و أحضانها قبل ما أموت.

– تقع قصاصة ورق على الأرض من داخل الظرف لا تفهم محتواها،لاترى منها سوى رقم تليفون ...

تخرج مسرعة إلى كشك أول الحارة تطلب الرقم – بعد رنين طويل ...

– أنا شهد .شهد يابيه،تستغرب كيف لا تشعر تجاهه بأية عاطفة، بعد أن عرفت أنه أبوها...

– يجيبها بصوته الخافت:

نص ساعة وابعت أخدكم اجهزوا .

– يمر الوقت ثقيلا و سائق السيارة صامت والطريق أصبح طويلا . يتوقف أمام مستشفى كبير، يكاد يدخل بالسيارة حتى البوابة .

تكاد أمها أن تموت رعبا، لا تفهم لا تعرف شيئا فقط تسمع دقات قلبها ولا تحملها قدماها تراه أمامها ...

تنظر إليه...

مرت أعوام كثيرة شاب شعره ...

– سعادةالبيه، على قدر طاقتها ترتمي تحت أقدامه، بنتي أشوفها و بعدها أموت أضمها، أشم ريحتها .

– يرفعها عن الأرض..

يمسك بيديها متوجها إلى غرفة العناية المركزة، لا ينطق حرفا، يفتح الباب، يهمس بنتك بتموت، كانت بتولد و حالتها خطر ..

– اقتربت منها لم تستطيع أن تلمس يدها المكبلة بخراطيم الحياة، وصوت جهاز التنفس، تنظر إليها هي في غيبوبة ...

– يالله ...

– تراها لأول مرة وهي على عتابات الموت، ولا تشعر حتى بها، لن تعرف أنها الأم الملكومة التي كانت تصلي لله أن ترى ابنتها .

تـردد في ذهنهـا حتـى لـن تعـرف مـن أنـا، كيـف لا أسـتطيع ضمهـا إلى صـدري ...

— يكاد قلبها أن يتوقف ...

— فجـاءة يـدوي بـكاء طفلـة، تلمحهـا في سـرير صغـير، بجوارهـا تقـترب منهـا تلمـح في عينيهـا نـداء...

— نعـم هـي طفلتهـا تنحـني بصعوبة، تتخيـل أن الطفلة تبتسـم لهـا، تلمـس أصابعهـا فتهـدأ، وتقبض عليهما بشـدة ...

تحملها،تمشـي إلى سـرير ابنتهـا الصامـت، تنحـني لتصـل لأذنيهـا، في همـس لا يسـمعه غيرهـا

— تمتمت أوعدك (مش هفرط فيها)

— تتجـه لبـاب الغرفـة تمشـي في ثبـات تحتضـن يـد الطفلـة ثـم تقبـض علـى يـد ابنتهـا شـهد بالأخـرى، لا تلتفـت لنـداء سـعادة البيـه .

تعـدو مسـرعة لا يؤرقهـا سـوى كيـف سـتصل إلى تلـك الغرفـة لتحتمـي بهـا مـع بناتهـا مـن قسـوة الزمـان.

صمت الرحيل

لم تكن تدرك أن روحها المكبلة في زنازين آهاتها المكبوتة مازالت متعطشة لطوق نجاة ..

— تتمنى أن تدرك قطار عمرها أواخره، كمحراث يطوي عقدها الثالث وهي تلهث خلفه ..

— تلك الأيام التي تنهش ربيع شبابها تاركة آثارها تحت عيون مرهقة أسرى رحلة دموع و رسمت خطوط شيب متناثر علي الوجنتين .

— كوردة مصلوبة علي جذر زهور تعصف بها الرياح، لا شمس تصل لها و لا ضوء قمر ينير لياليها ..

تنعي ما تبقى من حياتها لا تملك سوى الثورة لتحقيق أحلامها المؤجلة .

- أب طيب وأم متسلطة، وأفواه مفتوحة تآمرت عليها الحياة، تفوح منها رائحة زيجات متعددة فاشلة، كبلت بقايا أنوثة مبعثرة جعلتها حبيسة، كهف ذاكرتها .

- ودت أن تصاب بالزهايمر عمدا .تمنت أن تتلاشى داخل حلم يحمي آلامها .

جاءها صوت رياح ناعمة، تحمل إليها عطور المسك الليلي، بريق أمل ربما يكون خافتا و لكنه يضوي حياتها بنوره، حتى وإن كان عزيز اللقاء، فيكفيها حضوره الدافئ الذي يدفع الدماء في شريانها الذي كاد أن يجف .

كأنه همسه بوح لكل كلمات العشق التي تتلهفها روحها، يعيد إليها، أنوثتها المعذبة

تستلقي على سريرها، لا تدرك كيف يأتيها، تترك له روحها لينساب داخلها ،فتتشمم عطره، في قوة يمتلكها بحضوره، يمنح روحها الأمان ،تتصاعد أصوات تراتيل عشقه لتروي صحراءها .

أدركت أنها لا تنعم بالسلام إلا عندما يأتي االليل و تسبح في فضاء الأحلام، لم تكن تلك الأحلام سوى متجر للسعادة تمتلك وحدها مفاتيحه .

تغمض عينيها بشده تقبض عليهما في محاولة يائسة منها حتى لا تستيقظ من حلمها الجميل يتسرب الضوء من خلال رموشها يملأ عينيها..

— تستسلم ...

ترفع جفنيها لتصدم بوجهه العابس الذي يغتال صباها، ويلتهم كل ما تبقي من كرامة لديها، ويأبى الرحيل، لم تعد تتحمل رائحه أنفاسه حولها، و كأنه يسحب منها الروح ببطء...

تتذكر كيف عصفت بها الحياة وجعلتها تتزوج هذا العجوز شحيح العاطفة والذي كان يأخذ من شبابها طاقته ليتركها تعاني الوحدة برغم وجوده لم يستطع أن يملأ حياتها بغلظه قلبه و أسلوبه الفظ و بخله الذي اصطدمت به ..

فما كان منها إلا الهروب إلى عالمها الليلي يوميا لتعانق فارس أحلامها ..، تعيش قصه حب مع طيفه، تتمنى يوما أن يتجسد خارج أحلامها لتراقصه.

— لماذا دائما في نهاية اللقاء يبتسم ثم يختفى لتبقى تمتماته البسيطة و نظراته الدافئة و لمساته الحانية التي تعيد تكوينها ،لماذا لا يأتي إلا ليلا و في هدوء نور القمر يرسم شكلا تلو الآخر على جدران غرفتها، تلك الطلاسم التي تجد متعتها في حلها وحدها دون أن تحتاج دليلا..

يبتسم..

يرحل ..

يختفى في الظلام..

- يسمعها ..
- لا يتكلم ..

فقط يبتسم ..

- في تلك المرة أمسكت يديه بقوة و تمنت أن يذوبا سويا..

ودت أن تتبعه إلى عالمه الخفي .

- الآن فقط أدركت أنها ستبيع روحها مرة أخرى من أجل حبها...

مع مارد من نار .

حضن القدر

– وقف يتأمل أشعة الشمس وهي تغازل ماء النهر، ثم جلس يلقي بحصوات صغيرة، متأملا تلك الدوائر التي تصنعها بالنهر .

لم يدرك أنه جلس قريبا منها إلا عندما لمح دوائر أخرى.

التفت ليجدها تنظر إليه، وعلى جبينها خصلات سوداء حائرة حجبت عنه رؤية وجهها زادها الملس أنوثة .

– نظر إليها أثارته ابتسامتها الحالمة، لم يكن يدري أنها ستكون موجعه لقلبه حين تتملكه .

فقد كانت الأيام تمر باردة من حوله في تلك البلدة في أقصى الصعيد حيث عمله في ترميم تلك المعابد

بلـدة لا يعـرف فيهـا أحـدا، حـين ينهـي عملـه يعـود إلى حجرتـه لا يبارحهـا، يحـارب بـرودة جدرانهـا بتدويـن أعمالـه الـتي هـي كل عالمـه ..

كان يجد صعوبة فى التواصل مع أهل القرية .

— يجلس كل ليلة جمعة بشـرفته لينتظر ذلك الراوي، ويسـتمتع بحكاويـه علـي تلـك الأوتـار اليدويـة الصنع(الربابـة)..

— يشـاهد تلـك الدائـرة الـتي صنعـت مـن أجسـاد أهالـي القريـة ..

وقـد التفـوا حولـوا الـراوي يتمايلـون بأجسـادهم في نشـوة متلهفـين لحكاويـه عـن الزناتـي خليفـة وأبـو زيـد الهلالـي .

— كانـت تلـك الحكايـات هـي سـلواه وكأن القـدر أراد ألا يجعلـه وحيـدا وظـل عمـره كلـه باحثـا عـن عشـق يـذوب فيـه و يهـب لـه مـا تبقـى مـن عمـره .

— ذات صبـاح شـاء القـدر أن يـرى تلـك الفتـاه مـرة أخـرى وسـط الزراعـات تلهـو مـع بنـات القريـة...

— اسـتوقفه صوتهـا و ضحـكات البراءة بوجهها خطفـت قلبه .

— هـي الفتـاة متوسـطة الحـال، طامحـة في حيـاة رغـدة تبـدل بهـا حالهـا مـن ريـف هـذة البلـدة إلى حيـاة المدينـة والحلـم في مغـادرة القريـة الـذي يعرفـه كل الأهـل يراودهـا، تمردهـا علـي العـادات القديمـة حديـث كل القريـة .

— وقـف بعيـدا يتأملهـا مختبئـا حتـى غـادرن صديقاتهـا، فظلـت وحيـدة تداعـب أغصـان الشـجر وتحتضنهـا وتطـارد الفراشـات .

— اقترب منها ...

— هامسا ..

— أنا مهندس الترميم .

— ارتبكـت، نظـرت حولهـا خائفـة، قبـل أن تسـقط مـن يدهـا تلـك القـلادة ...

انحني قبلها ..

— التقطتها ..

— أعادها لها وهو قابض بيديه عليها برقة ..

— جعل قلبها ينتفض ..

— أسـرعت خوفـا أن يراهمـا أحـد وقـد صبغـت وجههـا حمـرة خجـل، تعلـن عـن خفقات بالقلـب، وتركت سـاقيها للريح .

— شعرت أنها تعرفه من زمن سابق ..

— كيف تعرفه وكل عمرها ما تجاوز نصف عمره .؟

— فتـاة صغـيرة لم تغـادر الصعيـد مطلقـا، كل مـا تحلـم بـه مـن خـلال الكتـب و قراءتهـا للقصـص و الحكايات.

- تعـدو بـين الغيطـان تعـرف سـيقانها كل الخطـوات إلى بيتهـا تقفـز فـوق العشـب مسـرعة، تدفـع بـاب غرفتهـا بقـوة، ترتمـي علـي سـريرها ،تحتضـن وسـادتها الـتي طالـا امتصـت دمـوع وحدتهـا..

- وسـادتها الـتي تأتمنهـا علـي كل الأحـلام، وكل مـا تعانيـه مـن وحـدة يضيـق بهـا صدرهـا..

- يشرد ذهنها ..

- يـتردد صـدى صوتـه داخلهـا ومازالـت نظـرة عينيه و بسـمته تشـع في ذاكرتهـا دفئـا و تـكاد تخـترق أوردتهـا، لمسـه يـده لهـا حـين أعطاهـا القـلادة كيـف تنسـاها أو تنسـى دفئهـا الـذي سـرى بجسـدها الغـض..

- ويخـترق سـكون الصمـت صـوت حصـى صغـير يخـترق صداه في جـوف الليـل شـباك غرفتهـا، في دقـات غـير متسـاوية تخـرج ببـطء رأسـها مـن الشـباك .

تـراه أمامهـا ترتبـك مـن الصدمـة تصعـد إلى سـطح المنـزل مسـرعة و بيدهـا قلادتهـا .

- يراها...

- يقترب من سور المنزل...

- دون أن تشـعر تلقـي لـه القـلادة لا تنطـق حرفـا و تنـزل مسـرعة إلى شـباك غرفتهـا تراقبـه ...

— يحتضن القلادة

— يقبلها ..

— ينصرف وهو قابض عليها بيديه وكأن كل فراشات العالم تطوف حوله وتلامس جبهته و تضيء له الطريق بنورها وتجعله يسبح في سماوات الحنين لتلك الفتاة التي لا يعرف حتى اسمها ولا يعرف كيف نسي فارق السن بينهما !؟

— صباح مشرق بشمس ساطعة تعكس دفئها علي الوجوه من حولها، قطرات العرق التي تأتي من الشقاء، على جبين عمال الجبل تنظر إليهم وهي تجلس تحت شجرة ظلالها تحميها، شاخصة للأعمدة الشاهقة بالمعبد أمامها تكاد تسألها عنه: هل رأته اليوم ؟

— تقترب سيدة متشحة بالسواد منها ..

— تدندن أبين زين أبين، أوشوش الودع، مرة لشابة ومرة لجدع ..

أشوف لك البخت يا بنتي، تكاد تجيبها بنعم ،ولكن تراه قادما..

يقترب ..

يكاد قلبها الصغير أن يقفز خارج ضلوعها عندما رأته أمامها

– لقد كانت تنتظره، و لكنها ارتبكت و سارعت الخطي دون كلمة مرة أخرى –تهرب ..

– لحق بها أمسك بطرف جلبابها ..

وقفت..

– سألها بتهربي ليه ؟

– وكأن صوتها رفض أن يطيعها ..

فهزت رأسها بالنفي..

– أنا حتى معرفش اسمك!

– يمسك يديها الصغيرتين مرة أخرى تخور قواها ..

،تتصبب عرقا ..

،يكاد جبينها يمطر.

– اتكلمي نفسي أسمع صوتك..

– تتعلثم كطفل رضيع يشتاق للكلام ،ولا يستطيع ..

– لا يستطيع فهم تمتماتها، تفلت يداها منه، تجري مبتسمة بين الزرع ..

ظل يراقبها وهي كالنسمة تداعب الشجر بيديها حتى اختفت .

— أخيرا وجد في هذا العمر من تعيد إليه الحياة ..

— دقائق مرت وهو ثابت في نفس المكان الذي يملأه عطرها، ينتبه لصوت رجل يستغيث ..

نساء تصرخ، أطفال القرية تجري، أحس انقباضا في قلبة ..

جف ريقه لم يستطع التنفس..

اقترب ،اخترق الصفوف المزدحمة،

نظر لأسفل الجسر المكسور..

مكان سقوطها في النهر ..

رأى بسمتها على وجهها وهي تطفو وتغيب ...

مازالت عيناها تلاحق عينيه اقترب بسرعة ...

قفز دون تردد، احتضنها لأول مرة ..

— غاصا معا ..

آه لو تعود الأيام

- في بهو قصر قديم تزينت جدرانه باللوحات النادرة، تكاد تئن من عفارٍأثقلها وشوهها .
- واشتاقت ليد تحتضنها لتنفض عنها غبار السنين وتقبلها قبلة حياة بعد أن أفقدها برد تلك الحوائط دفئها .
- كانت اللوحات ترتعش من برودة أصابت أطرافها على حوائط لم تداعبها أشعة الشمس منذ أمد بعيد ..
- وقفت حائرة زائغة عيونها لا تستطيع أن تصعد علي ذلك السلم الرخامي الذي اشتاق لتقبيل أقدام تزوره وبين فضاء ذلك البهو التي لاتقوى حتى على السباحة فيه بقدميها .
- ملتاثة أنهكها الزمن وعبث في وجهها الخريف دون رحمة .

تذكـرت عندمـا كان ذلـك القصـر يمـوج بعطـر أنفـاس زواره و تهيـم حوائطـه عشـقا مـن جمـال رواده مـن الفاتنـات و رجـال ينهـون كل صفقاتهـم في الغـرف المغلقـة و علـى أجسـاد الحسـناوات يمهـرون توقيعاتهـم ..

— كمـا تذكـرت رواد القصـر حـين كانـوا يختتمـون لياليهـم الصاخبـة بتقليـد مـن تريـده هـي علـى الكرسـي المدفـوع الأجـر ..

— كانـت هـي سـيدة القصـر وسـيدة المائـدة المسـتديرة لتوزيـع الابتسـامات على كل السـادة وكانت أيضا سـيدة الجميلات .

— انتبهـت علـي أنـين دمعـة سـقطت منهـا لتغيـب في أحضـان سـجادة البهـو دون مقاومـة ،تماسـكت، حاولـت أن تصـل إلى تلـك المـرآة في نهايـة البهـو .

توحـدت خطواتهـا مـع نبضـات قلبهـا الـذي لم يكـن سـقط بـين قدميهـا، وصلـت للمـرآة حاولـت أن تمسـح بكفيهـا ذلـك الـتراب الـذي غطاهـا ،لم تشـعر بـأن أصابعهـا تجمـدت

وأصبحـت لاتقـوى حتـى إزالـة تلـك الأتربـة الـتي غطـت المـرآة .

لم تشعر إلا وهي تخرج قلم الروج ..

— وتكتب على المرآة وهي ترتعش وتتنفس بصعوبة :

(هذه المرآة شاهدت يوما ما وجهي الربيعي)

— تألـت شـوقا وعبثـا حاولـت أن تـرى وجههـا، لكنهـا لم تقـو علـى رؤيـة ذلـك الوجـه الـذي هزمـه الزمـن وأرهقتـه السـنين ..

أغمضـت عينيهـا، اسـتدارت لتعـود لم تعـد تحملهـا قدماهـا، مازالـت تسـمع ذلـك التصفيـق الـذي لم يفـارق أذنيهـا .

ابتسمت ..

انحنت لتحية جماهيرها...

سقطت دون مقاومة ..

— سمعت الكلاب تنبح على القمر ..

— أدركت أنها مازالت تحيا ...

— ومازالت الكلاب تنبح في قصر آخر ...

يوم الوفاء

— تقف بينهم تحملها قدميها بصعوبة ..

وقد اصطفوا في طوابير طويلة على رصيف الشارع ..

— وتنهش فيهم أشعة الشمس، التي لم تدرك أنها أيضا قد نالت منهم كما نالت منهم الشيخوخة .

— تتشمم رائحة العرق الذي يفوح من أجسادهم التي التصقت..

— زحام شديد، حرارة شمس لاترحم ومكتب بريد أصيب كل العاملين فيه ببرود .

— مازال الطابور طويلا ومازال ذلك الصراف الضخم الجالس تكسو وجهه بلاهة وتبلد ينفث دخان سيجارته

— وبين التثاؤب وبين نظره بتأفف لذلك الطابور الطويل الذي لم تعد مبالية به تسند برأسها على الحائط ..

- تتـألم تتمـني أن تنـال أشـعة الشـمس مـن تلـك الآلام وتقضي عليهـا ،وتحرقها ..

- لم تكـن تملـك سـوى تلـك الجنيهـات الـتي تتقاضاهـا نهايـة كل شـهر بعـد أن وصلـت لسـن السـتين ..

- واضطـرت مجـبرة علـى أن تـترك منصبـا كانـت تشـغله بعـد أن ترقـت إلى درجـة مديـر عـام ...

- أصبـح الآن شـاغرا بعـد أن بلغت سـن التقاعـد وخرجت على المعـاش لتتفاجـأ أنهـم اقتصـوا جـزءا كبـيرا مـن راتبهـا ...

وأنهـا عليهـا أن تعيـش بتلـك الجنيهـات القليلـة الـتي خصصتهـا لهـا الدولـة وعليهـا أن توفـر منهـا ثمـن العـلاج خارج التأمـين وثمـن السـكن وثمـن الطعـام، يالهـا مـن جنيهـات لعينـة لم تسـتطع أن تلـبي كل احتياجاتهـا ..

- انشغل عنها أبناؤها وأصبح لكل منهم حياته .

- لم تكـن تـدرك أنهـا سـوف تواجـه يومـا ذلـك الجحـود اللعـين وتلـك القسـوة المميتـة مـن هـؤلاء الذيـن كانـوا مشـروعها الأوحـد في الحيـاة ..

- وحينمـا أعطتهـا الحيـاة ظهرهـا غـاب مـع ربيـع شـبابها كل شـئ ..

- أصبحت الوحدة هي شريكتها في أيام ربما كانت هي المتبقية من حياة كرهتها بعدما أحست أنها ستصبح هباء منثورا ...

مازال الطابور طويلا ...

مازال الألم والجرح غائرا ..

- والصراف كأنه أحد أبنائها الذين اغتالوها بعقوقهم ...
- يغتالها ببطئه الشديد غير مبالٍ بسن من يقف أمامه وكأنهم لعنة أصيب بها ويتأفف وهو يتخلص منها ببطء ولا مبالاة..
- تستند برأسها على الحائط ...
- لم تعد تقوى على الوقوف ...

تنزل ببطء شديد ...

- تفترش الرصيف بجسدها الموجوع ...

تنزل الطرحة على وجهها كي لايرى الألم الذي كسا وجهها أحد ...

- سيل دموع ينزف من مآقيها آهات العرق المتصبب من على جبينها تحاول أن تستغيث ...

– لا تستطيع أن تحرك ذراعيها أو أن تزيح الطرحة التي غطت وجهها بها

تستسلم للوجع ..

تلاحظ إحدى السيدات أن دورها قد اقترب وهي لاتشعر ولا تحاول أن تتحرك في الاصطفاف أملا في الخلاص من معركة المعاش الشهرية التي كانت تخوضها بنجاح حتى تحصل على راتبها ...

– تنادي السيدة عليها: ياحاجة ...

– ياحاجة ...

– تعالى ...

– قربي في الصف ...

– دورك الجاي ...

– لكنها لاتستجيب لنداءات السيدة المتكررة التي أصبحت تعلو وتخترق كل الآذان ولكنها لا تملك أن تجيب ...

– كانت تسمعها ...

– لكنها لاتستطيع الإجابة ..

– تقترب منها السيدة ...

– تهزها برفق ...

– ربما نامت من إرهاق لايستطيع تحمله جسدها العجوز ...

ترفع عن وجهها الطرحة ...

– تحدق فيها ..تهزها أكثر ...

– تقترب من أنفاسها ...

– تدرك أن دورها قد حان ...

عودة روح

— استيقظت لاتدرك أين هي، لاتستطيع التفريق بين أوردتها وبين حبال المحاليل التي أدمت ذراعيها، تحاول جاهدة أن تحرر معصمها المكبل بالخراطيم لكنها لا تستطيع...

إنها حتى لا تتذكر: من هي ؟

أو أين هي ؟

إن روحها أصبحت مشتته ...

— تشعر الآن ببرد ليالي الشتاء الموحشة.

لم تعد تتذكر سوى لون تلك الحوائط البيضاء المحيطة بها من كل اتجاه...

وأصوات قطط تموء في جوف ليل بارد ...

ووخزات إبر تخترق جلدها لتستقر في أوردتها ...

وأرواب وقفازات بيضاء...

كل ماتتذكره أنها فتحت عينيها بعد أن كانت تغط في نوم عميق؛ لتجد نفسها في ذلك المكان الذي أدركت بعد ذلك أنه المستشفى الأميري...

ذلك المكان الذي تتلقى فيه العلاج...

- طرق باب الغرفة دخل مبتسما، شعرت بدفء يسري بجسدها ..

لم تكن تشعر من قبل هذا الدفءالنابع من القلب رغم برودة الأجواء وجوده يجعلها تشعر بالاسترخاء ...

- صوت المطر يزداد، وشباك مكسور يدخل منه الهواء، لفحات البرد تداعب وجهها فتشعرها بوجودها .
- رائحه أنفاسه تقترب منها فتهديها الأمان...
- كانت صدقت أنها تجمدت، أعاد لها بريق الحياة بوجوده منذ أن عرفته وهو دافع للحياة يهديها القوة بكلماته...
- من قبل كانت تستعد لاستقبال الموت البطيء، وكان في القلب بقايا أمنيات . بدأت تتذكر شيئا فشيئا...
- ولأنها دائما كانت تشعر بقرب نهايتها بعد أن هاجمتها عدة نوبات أفقدتها توازنها...

- هذا المرض النادر ...

- عشرة أعوام من المعاناة مع مرض التصلب كانت في بداية ربيعها العشرين حين أصابها وكانت متزوجة و معها طفلة...

- قدرها أن تصاب بمرض غريب ونادر احتار العلم في أسبابه، لتكون ضحية له، فقدت بسببه حياتها الزوجية بعد قرار زوجها أن لا يرحم ضعفها وتركها مع طفلتها الوليدة لتواجه قدرها بمفردها...

- لم يكن يتحملها حين تأتيها تلك الهجمات الرهيبة التي تفقدها النطق، التركيز ،وأعراض أخرى...

فيتركها تعاني في غرفة منفصلة برعاية أختها لايكلف نفسه عناء الاطمئنان عليها

- ويعرف العلم مرض (التصلب اللويحي) بأنه مرض فريد من نوعه ويؤثر على المريض بأشكال مختلفة وهو عبارة التهاب يصيب الجهاز العصبي المركزي من المخ...

- اختار الزوج القرار الأسهل و انفصلا، فقدت وقتها كل قواها ،واستمرت واهنة، تتحمل في صمت آلام مرضها، والخذلان من رفيق العمر ...

وحماقة البشر والظلم و اختفاء الأمل .

ومرت سنوات قبل أن تسمح لقلبها مرة أخرى أن يشعر و يحس ...

لقد قفلت عليه مع آلام مرضها ...

— لكنه مختلف ...

هذا الرجل الذي عندما قابلته كأن ربيع العمر قد عاد إليها .

— أعاد إليها إيمانها بالحب، والوفاء ،بعد أن كانت كفرت بهما ...

تناست مرضها اللعين ...

— أحبت السعادة التي منحها إليها في طيات الوجع .

— كانت تصاب أحيانا بفقدان مؤقت للذاكرة و النطق فيظل جاهدا يكلمها و يقبل يديها ..

— هي تنظر إليه في هدوء لا تذكره ولكنه لا يبتعد عنها، ولايغلق باب غرفتها عليها ..

— لا يُدخل إلا طبيبها والممرضة ...

— يعزلها عن العالم حتى لا يرى أحد ضعفها .

— كان يأمل كل مرة أنه عندما تفيق لا ترى غيره أمامها...

اعتقد أنه ملاكها الحارس ولن يستطيع المرض أن يهزمها ...

— هذه المرة أتت الهجمة فجاءة دون مقدمات أو أسباب ...

— أيام و ليالٍ مرت ثقيلة هو وحده من يستطيع إحصاءها ...

— أما هي لم تعرف كم من الوقت طالت غيبوبتها ..

تفيق، تفتح عينيها، تشعر بثقلهما، تسترق السمع ...

— صوت المطر ينهمر بغزارة ،تكاد تسمع صوت الهواء قادما من خلف شباك الغرفه يئن ...

— تهمس جاهدة : افتحوا الشباك ...

— يا الله لقد عادت، كسبت الجولة الميتة من تلك الهجمه الشرسة...

— عايزة أروح عند الشباك ..

— يحملها، يفتح لها النافذة..

— تمد يديها خارجه، تحس الهواء وتشم رائحه وتلمس يدها المطر، تغسل وجهها بالمطر ،علقت رائحته بها، امتزجت الروائح بذهنها، عطره و الهواء والمطر، لم تتذكره بعد، لكن روحها تطمئن إليه .

— وهمس بأذنها :

— كدت أموت رعبا بدونك..

وكأني طفل فقد أمه ..

— لايستطيع البوح..

— لا تعرف كيف تبلغه بأنها لا تتذكره، ولا تراه أيضا ..

— نعم لن ترى عيناها مرة أخرى بعد الآن ..

تنفست بقوة ،حاولت أن تقاوم لتعرف من هو..

— لاحظ شرودها، نظراتها الزائغة ..

— مد يده لها، لم تراها، التف من ورائها، فظلت تحادثه أمامها .

— بكى، احتضنها بقوة اختلطت دموع خديها .

— لقد عرف، أخذت الهجمة بصرها..

،طمأنها، يكفيني وجودك ..

،وأهداها الله نور عينيه ..

الصقر الصغير

- لمحت في عينيه شرارة جذبتني إليه هذا الملاك الصغير حاد النظرات تحمل عيناه هدوءا و أهدافا وطموحا أكاد أرى أحلامه في وقفته بشموخ و ثبات وتلك الثقة المطلة من عينيه جعلتني شغوفة أن أعرف: من هو ؟
- محمد على مشارف العاشرة بسمته تحمل بطياتها أملا .
- حين كان طفلا على أبواب الحضانة، يستقبل عامه الرابع بشغف اللهو و اللعب، كأي طفل عادي و لكنه اصطدم بعنف كلنا نعاني منه في مدارسنا الآن...
- كان سببا في تغيره..
- عنف الأطفال ضد بعضهم البعض، آفة مجتمع، اصطدم بمجموعة أطفال تلهو بعنف داخل المدرسة دون رقابة و يتعاملون بقوة اليد برغم صغر سنهم ..

- احتـدم الشـجار بينهـم تطاولـت الأيـادي لم يكـن يعـرف كيـف يدافـع عـن نفسـه وقتهـا

امتـدت يـد طفـل إلى خصـلات شـعره الذهبيـة ؛ لينتزعهـا مـن جدورهـا ؛ مسـببه لـه ألمـا نفسـيا قبـل الألم الجسـدي .

- لتكون تلك الحادثة أول علامة بالحياة تترك أثرا عليه.

- بـدأ الأب يلاحـظ بنيـة ابنـه الجسـدية و الـتي تمهـده لاختيـار رياضـة تناسـب سـنه، اختـار الأب رياضـة الجمباز ليبدأبهـا مرونـة جسـد ابنـه صاحـب الأربـع سـنوات .

- أخـذه أبـوه إلى أحـد النـوادي الـتي تـدرب بهـا مدربـة شـابة، و كان محمـد مقبـل فرحـا علـي النـادي و بقلبـه ربمـا تتحقـق أحلامـه في الدفـاع عـن نفسـه .

- قابلتـه المدربـة بابتسـامة غامضـة لم يفهمهـا وأخـذت يـده مـن والـده و التفـت بهـا في حركـة دائريـة سـريعة لتسـقطه علـى الأرض وأفـاق مـن ذهولـه وهـو يتـألم بـدأ الصغـير يئـن وجعـا، وغضبـا ..

- يالها من حفلة ..

الاستقبال بها حاد جدا ..

جعلت الولد الصغير يتوجس منها خيفة ..

- التف حول قدم والده مختبئا منها ودموعه تسبقه في الإعلان عن رفضه أن يلتحق بهذه باللعبة..
- أصبح الصغير يحمل داخله ألم اليوم الأول في الحضانة و اليوم الأول في النادي ...
- ارتبط داخل ذهنه خوفه الخاص به من اليوم الأول .
- لم يدرك الأب ما يجول بخاطر ابنه وكان لابد أن يلتحق بالحضانة كأي طفل اختارت الأسرة مدرسة أخرى ،و استعد محمد في داخله لليوم الأول، وبداخله شحنات سلبية لا يدركها غيره .
- تركه الأب في المدرسة و ذهب و ماهي إلا ساعات قليلة و يفاجأ الأب بتليفون من إدارة المدرسة، محمد ضرب كل أطفال الفصل وحده ..
- ضرب كل أطفال الفصل و كاد أن يعلن نفسه عليهم رئيسا، سولت له نفسه ذلك قبل أن تسول نفس أي واحد فيهم أن تؤذيه مرة أخرى، قرر أن يقتص لنفسه من ألم اليوم الأول ...
- هنا أدرك الأب قوة ابنه الجسدية وقوة تفكيره .
- ولاحظ أن لدى ابنه فرط حركة يجب أن تحاط بسياج من العلم و التوجيه .

- سخر الاب نفسه باحثا في ذاكرته عن لعبة رياضية تناسب ابنه ،لأن محمد لديه خوفه الخاص من الأندية اصطحبه أبوه إلى أحد الأماكن الخاصة ليستمتعوا بمشاهدة مباريات عن بعض ألعاب الدفاع عن النفس، تاركا لابنه الصغير حرية الاختيار لما يتناسب وميوله ..

لمح الصغير المدرب محمود وكيف يتعامل مع الأطفال، و تلك البسمة التي ترتسم علي وجهه طمأنته ..

وعرف أنه صديق والده و سأله الصغير في براءة : كيف أدافع عن نفسي ؟

- ابتسم المدرب محمود وأخبره أن للقيم و الأخلاق داخل الملعب قواعد، و اختار الصغير أن يكون مع المدرب محمود

أجاد الأب اختيار لعبة تناسب قدرات ابنه ومدرب يعرف جيدا قدراته، استقر الوضع على لعبة الدفاع عن النفس :

(الكونغوفو)

بدأ الأب يحضر مع ابنه التدريبات و تعاون مع المدرب في غرس روح الفوز و البطولات في ابنه..

- وتقويم تلك الطاقة المفرطة و تغليفها بالرياضة ...

ومحو كل الآثار السلبية لديه للعنف الذي وقع عليه ...

- تغير مفهوم محمد و تبدل خوفه من اليوم الأول ،وظل في ذاكرته فقط كيف استقبله المدرب محمود برحابة صدر راقت له ولمح المدرب في عين محمد قوة و إصرارا تفوق سنه ...

لقد آمن به و عرف أنه يحمل صفات البطل ..

- و في الوقت نفسه انبهر محمد بهذا الرداء الأسود الذي يرتديه مدربه، وتذكر كيف كان يتابع على شاشة الكمبيوتر كل أفلام تلك اللعبة ..

تذكر كيف كان يمسك بهذة الخشبة التي استبدلتها الأم بذكائها ذات يوم و أقنعته أنه في يوم ما سوف يكبر و يستبدلها بسيف اللعبة ..

أدرك محمد بداخله أن تلك اللعبة التي أجاد الأب اختيارها سوف تكون مسارا جديدا لحياته .

- و بدا محمد يجتهد في التدريب كلما ارتدى لباس تلك اللعبة الأسود يتحول إلى محارب نينجا، يحمل داخله رحمه و آداب تلك اللعبة في إطار من التربية و التوعية ..
- كان يوم التدريب هو الحافزالذي يسعده و يجعله يتفوق في دراسته لينال لقبا تلو الآخر ...
- أصبح حاصد الجوائز .

— أجاد مدربه استخدام قدراته ،وقسى عليه في بالتدريب ودعمه ..

كان محمد في أيام التدريب تغلبه دموعه حين يشعر أنه دون المستوى فيرهق نفسه مرات ومرات في التدريب .

— أخذ والده قسم على نفسه أن يعلمه أخلاق الرياضة ...

وكبر محمد و كبرت معه أحلامه في ست سنوات أصبح محمد الهادىء الخلوق عنوانا للبطولات وأصبح الحديث عن أخلاقه و مساعداته للغير مثالا يحتذي به فريقه .

— في إحدى بطولاته مع طفل آخر بنفس عمره تقريبا فاز عليه ، فبدأ الطفل الآخر في البكاء لأنه خسر البطولة

جرى محمد و انحنى عليه صافحه بيده ..

احتضنه و سط ذهول الجميع حوله

بدأ يفهّم اللاعب الصغير منافسه أن الرياضه مكسب و خسارة و أنه عليه أن يدرس نقاط ضعفه و يقويها بالتدريب ، ويعرف لماذا فاز الخصم عليه .

— واستقر المدرب على منحه لقب الصقر ...

— نال محمد أربع عشرة ميدالية على مستوى مصر وإفريقيا .

— تعلم من والده و مدربه قانون الرحمة في الرياضة ..

– تعلم أن آخر شئ هو الضرب العنيف وألا يستخدم قوته بل عقله ..

وأن الرياضة في ساحات الأندية ..

– كان لذلك أثر جيد..

– أصبح محمد ابن العاشرة الذي يحمل شخصية قوية رحيمة، وروح القائد تغلف شخصيته..

وصار مدربه يحمله مسؤولية معه في الفريق كمساعد له، ويعتمد محمد على جدار الأخلاق التي اعتاد عليه في محيط البيت و يمتد إلى المدرسة و الملعب

وعندما سألت محمد عمّا يحلم به في مجال الرياضة كان رده متزنا وعاقلا ..

– يحلم أن يتوج بطلا للعالم ويصبح مدرب فريق مع الدراسة ...،وكان يحلم الصقر الصغير أن يصبح مهندس بترول..

– استحق البطل الصغير الحصول على لقبه بجدارة

– مازلت أتمنى أن يظل محمد رافعا دائما علم البطولات ..

،أكاد أراه في وقفته بطلا يتصدر اسمه العالم قريبا.

– إن شاء الله ينمو الصغير و يظل دائما الصقر..

أنثى العنكبوت

- في تلك المدينة الساحلية وقف على رمال البحر الناعمة، ,يتشمم رائحتها المزوجة بقطرات العرق المالح وقف مشدوها ينتظر أن تشرق الشمس، صفراء بلون الذهب من حوله لعلها تدفىء برد قلبه..

- يتأمل البحر يصول و يجول فرحا بجبروته، مليء بدموع الموجوعين من الحياة، هو دائما محافظ على أسرارهم، اليوم أتى ليرسل إليه زفراته الملتاعة لا يخشى منه بل ود أن يلتحف و يغوص به و يبتلع أوجاعه ..

يتذكر، كيف كان معتادا أن يحضر إليه مع غروب الشمس ليبثه شوقه لعله يوصله لها، يتذكر، عندما لمحها في مدرج الجامعة لم يكن يعرف من هي

فتاة عادية من دفعته لفت نظره بساطتها في الحديث، كانت كالفراشة، تنتقل بين صفوف المدرج تنثرعبيرا و توزع ورودا في نبرات صوتها الميز، و ابتسامتها الساحرة، التي لا تخص بها أحدا...

— لقد تحرك قلبه لها لأول مرة، لقد كان دائما محافظا عليه لا يعبث مع فتيات الدفعة ولا يقترب من خروجاتهم المكلفة خشية أن ينفضح أمر فقره ويعرف الجميع وضعه فيعرف الجميع أنه دائما .

لا يحمل سوى جنيهات خمسة كل يوم لإفطاره ومواصلاته، كانت هي كل ما يتسطيع أبوه أن يمنحه إياها ...

هذا الأب الذي يحاول دائما أن يقتات لقيمات تسنده، لا يبقي معه منها ما يكفي غداءه ...

فيقاوم جوعة و يتحمله و ينام، لقد ماتت أمه حين أصابها المرض و عجز الفقر عن علاجها..

أصبح هو وأبوه و أربعة إخوة هما كل العائلة التي تحلم بيوم تخرجه و تقدير جيد جدا أو امتياز حتى يتسطيع أن يتعين في النيابة ..

ربما يعوضهم عن هذا الفقر في مجتمع موشوم بالأنانية و السخرية يخشى من الفقراء وكأنهم مرض معدٍ...

.

كعادتـه يسـابق الطـلاب إلى المـدرج لعلـه يجلـس في مـكان قريـب فيسـتطيع أن يركـز مـع الدكتـور ..

ولا يصـل إلى مسـامعه تهريـج طـلاب الدفعـه، يعتـدل في جلسـته تقـع عينـه عليهـا ، ود أن يقـترب منهـا حتـى يسـتطيع أن يراهـا ؛ فيشـم عطرهـا و يتأمـل ملامـح وجههـا الغـض، تقـترب منـه، يتأملهـا دون كلمـة .

وتحمـل نظراتـه كل الكلمـات علـى اسـتحياء، تلمـح نظراتـه لهـا .

تستأذنه لتجلس بجواره، هامسه له: في حد هنا ..

— يجيب :لا

تدخـل مـن بـين قدميـه و المـدرج حتـى تصـل إلى جـواره فتجلـس وكأن روحـه خرجـت مـن جسـده بمرورهـا..

— ارتعـش، يعتـدل في جلسـته ،يحتضـتن ذاتـه، يخشـى أن تلمـس قدمـه قدميهـا ،

لكنـه يحـس بقدميهـا تلمـس قدمـه يكـذب إحساسـه ينظـر لأسـفل؛ لـيرى لأول مـرة سـاقا بيضـاء غضـه ،و قـد تخلصـت مـن حذائهـا، تلامسـه، انتفـض ..

— هي أول مرة له يحس بالأنثى ..

— وتصطـدم قدمـه مـرة أخـرى بهـا، ينظـر إليهـا، تهديـه

نظـرة لهفـه و اشـتياق ..

— لم يعد يفسر الأشياء، ماذا تريد..؟

— لم ينتبـه للمحاضـرة لأول مـرة خـلال سـنواته الثلاثـة بالجامعـة، لم يكتـب حرفـا وراء الدكتـور، لم يكـن يعـرف كيـف يـرد لهـا هـذا التلامـس ..

— تجمـدت أوصالـه وكان يتمنـى أن تنتهـي تلـك السـاعة الطويلـة للمحاضـرة، حتـى يتسـطيع أن يهـرب ليتنفـس لقـد نسـي كيـف يأخـذ النفـس مـن سـرعه ضربـات قلبـه، انتهـت المحاضـرة هـم بالخـروج، سمعهـا تنـادي عليـه بصـوت منخفـض : رايـح فـين، اسـتنى أنـا هوصلـك بعربيـتي إحنـا لازم نتكلـم ،أومـأ برأسـه موافقـا.

— و جـد نفسـه داخـل سـيارتها و عقلـه يتسـاءل كيـف حـدث هـذا ..

ولا يجد إجابات ..

— ركب سيارتها حتى لم يعرف اسمها بعد .

— لا يتكلـم لا ينطـق حرفـا، جلـس جوارهـا كبنـت بكـر لا تعـرف كيـف يكـون لقـاء الأغـراب..

— انطقـت بالسـيارة مسـرعة وزجاجهـا مفتـوح والهـواء يتطايـر بـين خصـلات شـعرها الأسـود في مـرح .

- جالس إلى جوارها لايتحدث يتنفس بصعوبه ولا يجد كلمه تسعفه في ذاكرته .

- توقفت عند شاطئ البحر كانها تعرف عشقه للبحر، وبدأت بينهما لغة العيون .

- وبجرأة رفع عينه ليتأمل ملامحها عن قرب، مدت يدها تتلمس يده و تقبض عليها تبث له شوقها، حملت يده بين يديها ورفعتها إلى شفتيها و قبلتها .

انتفض بين يديها و لكنها طمأنته بعينيها، تجرأ و قبض على يديها بقوة فتركت رأسها تهوي علي كتفه ..

- تقبل رقبته، عرفت أنه اطمأن إليها..

- أدركت أنه أول مرة يلامس امرأة أول مرة يشعر بهذا الولع، مرت دقائق ربما ساعات ..

- لم ينطقا بحرف كانت أصابعهما المتشابكة و شهد رضابهما و تشابك أقدامهما هما كل الحوار..

- دخل جنتها برضاها لم تبخل عليه بل كانت تستنفذ كل طاقته، وكانت تعرف جيدا كيف تجعله لا يفيق بين يديها ..

- لم يكن يقاوم الشيطان بل استسلم لها وكأنه في نعيم مخمور بعطر، وملمس انثى لم يتذوقه من قبل..

- مر الوقت ولم يكن يحسبه، وعادت بالسيارة إلى الحي الذي يسكنه، التفت إليها، ود أن يودعها لكنه لم يكد ينطق بحرف ..

- انطلقت مسرعة بسيارتها بمجرد نزوله منها لم تلتفت إليه لتودعه كما ظن .

- أدرك أنه تأخر عن موعد العودة اليومي علي غير العادة ..

- لعل والده ينتظره بقلق الآن، فهو كل أسرته، خرج الإخوة الكبار للحياه انقطعت أخبارهم، و انشغل كل منهم بحياته، كرس أبوه حياته له، رفض الأب الزواج مرة أخرى و فضل الوحده و تربيه صغيره ..

- لقد أحسن التربية، شاب ملتزم بصلواته لا يلتفت إلا لعلمه وأمامه أهداف ينتظرها لتعوض له معاناة الفقر..

- قصة عشقه للدراسة بهدف تحسين وضعه استمرت سنوات والآن باقي عدة أشهر على السنة الأخيرة بالجامعة، وظهور النتيجة دائما هو مميز مع مرتبة الشرف ..

- أحلامه تعانقه كل ليلة، لقد اقترب تحقيق الحلم، كان يحلم و يحلم أن يعين بالجامعة وهو الأفضل، و ظل الحلم يراوده أن يعين بالنيابة مثلا..

- الآن عاد إلى غرفته تلك الغرفة الباردة يملأها الفقر

وتتشح بالجير الأسود، لا يملك هو أو أبوه ثمن طلائها بأي لون ..

- مد يده ليضيء الغرفة، ضوء باهت من لمبه لا تضيء كل الغرفة من ضعفها و كأنها تشبههم..

- تفحص ركن الغرفة علي ترابيزة صغيرة (بابور الجاز) مشتعلٌ فوقه حلة طبيخ ،تسخن وهو يخشى أن يفتحها فهو يعلم ،أن بها طبيخ (أورديحي)، لقد استزف أبوه كل الجنيهات في شراء كتب وملازم الجامعة..

- وعلي غير العادة ابتسم، حين تذكر تلك الساعات القليله التي قضاها معها و في سيارتها التي صعدت به لطبقة الأغنياء في غفلة من الزمن ..

- مازال يتنفس عطرها القوي ويتذكر لفعة الهواءعلى خده..

- يتذكر كيف كان يصفعه هواء السيارة المسرعة من الشباك؛ ليجعله يفيق قبل أن ينتشي ؛ ليذكره إنه لا ينتمي إليهم..

- لكنه لا ينسى طعم قبلتها ولا لمسات يدها ولا دفء أحضانها، وقبلاتها على خده ..

- ولا يعرف كيف تذكر وداع أبيه حين يمطره بالمحظورات وهو يهم بالصعود بدرجات الغرفة إلى الشارع .

- وسطع نور الشمس، لا يعرف كيف انقضى الليل بين سهر و لهفة و سهد و أحلام يقظة لم تر عينه النوم هذا اليوم منتظراً الصباح ارتدى أفضل قميص لديه و تمنى أن تكون لديه زجاجة عطر أو حتى حذاء جديد ليرتديه اليوم ..
- ذهب سريعا للجامعة يسبقه شوق و لهفة لرؤيتها فعنده كلام لم يقله بعد ..
- أشواق كثيرة يتمنى أن يحظى بها معها ..
- تراوده آلاف الأحلام ..
- بداخله أسئلة لا يعرف إجاباتها .
- لمحها آتية كنسمة الصيف الباردة، يسبقها عطرها، ابتسم لها، مرت أمامه ولم تنظر إليه ..

و مازال فمه فاغرا على تلك البسمة ، أدار رأسه يتبع خطواتها، خيل إليه أنها مرت من خلاله..

- سابقته خطواته إليها تمنى أن يناديها بصوت عالٍ و لكنه يتذكر أنه لا يعرف لها اسما .
- يخرج مسرعا من الجامعة إلى كورنيش البحر، يقفز خلف السور يقترب من البحر تسبقه دموعه ..
- رمى بجسده يحتضن أمواجه ..

- لم ينتبه لعلو الموج، يمشي و يمشي داخل البحر يرتفع الماء أكثر فأكثر، يصل لرقبته، يبتلع ملحه بدون مقاومة، تاركا روحه تسبقه، يراها أمامه مبتسمة فأسرع ليدخل إليها . .
- يغوص، يرتفع ،ثم يغوص لا يقاوم الأمواج بل يحتضنها بحب ..

يلتهمه البحر، ويرفعه، ثم يلتهمه ..

سحابة ضوء

تخلصت من ضوضاء المدينة، خرجت لأتنفس هواء نقيا بعيدا عن تلك البنايات الشاهقة التي تأخذ مني روح الصفاء ليصبح قلبي صلبا كجدرانها، كم تمتص مني تلك الأحجار ما يتبقى من صبر لدي لا ينقذني منها إلا الرحلات القصيرة الشهرية إلى بلدتي الريفية .

الطفل داخلي مازال يأنس للون السماء الصافية، خصوصا بعد المطر فتعيد إليّ هدوءا و راحة تنعكس دائما على باقي الأيام التي تليها، كم أتمنى العودة الآن تشتاق روحي للهدوء..

كنت قد بدأت أفقد ما تبقى لدي من صبر، كل هذا الصخب، ضجيج سيارات يزعق نفيرها بالناس ليدفعهم مهرولين من أمامه، ضوضاء المدينة لا تحتملها أعصابي...

حركة مستمرة على مدار اليوم، نشاطات مختلفة، جنازات ،أفراح، مواكب رئاسية، لا أدري لماذا يتسابق الجميع و كأنهم في صراع على البقاء..

- تسابقت عجلات سيارتي مع الريح، في سرعات عالية لفح وجهي هواء الطريق و كان يهدئ من روعي قليلا ..
- بدأت أسمع حفيف الرمال بالطريق وهو يصفع السيارة، لكني فقدت الإحساس بالوقت وكم مر ..
- وبدأ السائق يتذمر من الطريق..
- أصبح الطريق فرديا من أمام السيارة المواشي العابرة في غير عجالة مع أصحابها الفلاحين لم يبذل أصحابها أي جهد لتتفادى سرعة السيارات...
- تلك القوافل المارة لا تبالي بنا بل نحن من ينتظر مرورها ...
- لقد بدأ اللون الأخضر يظهر علاماته علي الصفين لقد دخلت في أنفي رائحة شجرات الصفصاف العجوزة تعانق النهر تحتضن أغصانها أمواجه الهادئة ..

والتي على أطرافها يقف دائما طائر أبو قردان الأبيض بساقيه الحمراوين يشرب من ماء النهر و يقتات من الشجرة غير مبالٍ فهو آمن في ظلها و محتمٍ بأغصانها من الغرق ..

وكانت تلك الشجرة تغرس جذورها داخل النهر لتعلن في ثبات عن حقها فيه منذ الأزل ..

- فلا أحد منا يعرف أو يذكر متى زرعت أوتادها في النهر .
- وصلت السيارة إلى أطراف البلدة ...
- تعذر عليها السير أكثر داخل الزراعات فهي تعرف حدودها، تعرف متى يسمح لها بالمرور، ومتى يجب أن تتوقف حتى لا تؤذي الشجيرات الصغيرة
- تلك السيارة استشعرت مدى حبي، وعشقي للريف فصارت مثلي .
- ترجلت من سيارتي تنفست بعمق، كم أعشق هذا الريف الساحر، فتداعب حواسي رائحة خضرته المغسولة بالأمطار الشتوية، فتعطي للهواء رائحة عبقة و تعرف أقدامي طريقها هنا، حيث أرض الله الصافية، و تأملاتي لإبداع ما خلق الله سبحانه وتعالى ..
- مازلت أذكر طائر الهدهد، ينقر في باطن الأرض، ليخرج ديدان غذائه التي أهدتها له الطبيعة، كل يسبح في فلك ربه ..
- عادة في مثل هذا الوقت تصبح السماء صافية أكثر، كنت أرى فيها أشكالا ،كم بنيت فيها أحلامي حين

كنت طفلا و استخلصت من السماء أشكال طيور و حيوانات كنت أكاد أراها و ترانـي و دائما بيننا حوار ..

- لم يختلف عشقي ولكن كبر ذهني فأصبحت أعرف أنها سحب سائرة بحسب اتجاه الريح إلى أماكن أخرى وأن تلك الأشكال كانت بمخيلة الطفل داخلي ..
- كنت أتامل السماء بعمق وقت نزول الشمس ..
- العصاري مختلفة في القرى، حيث تجمع بعض الجيران معا ينتظرون مضي العصر و قدوم الغروب ليعدوا تلك المصاطب التي اعتادوا الجلوس عليها و تناول الشاي و أحاديث القرية التي لا تنتهي أبدا .
- ويوقدون نارا تدفئهم حول الشجرة العجوز الوافر فرعها التي تغطي جوانبها تكاد تلامس الأرض و كأنها صنعت كوخا مهدى لهم من صنع الطبيعة .
- كنت دائما أجد الغروب ف الريف ساحرا يوحي لي بالراحة ..
- تنساب من بين يدي الكلمات هنا يصبح القلم حرا .
- وفي كل زيارة لي أبحث عنه، هذا الزميل بحجرة السجن، نعم إنها أيام لا أود أن أستعيدها، لكنها حفرت داخل عقلي وربما يوجد بعض منها على جسدي بالإضافة إلى تداعياتها .

- لا أعرف سببا محددا لكوننا طلبة جامعيين ندرك معنى الحرية و نرفض وجود المحتلين بالأرض التي نبت فيها جذور أهالينا فنعاقب ..

- لم يكن وجود الإنجليز حولنا إلا فترة وسوف نقهرها هكذا أخذتنا الحماسة و بدأ بعض منا يستدرج بعضهم و يقتلهم في أزقة الحارات بتخطيط عشوائي بجانب شباب المقاومة .

مازلت أذكر يوم كنت عائدا مع أصدقائي من أحد الموالد بعد منتصف الليل، وإذا بمجموعة من الجنود تقبض علينا ماهي إلا ساعات وزج بنا في سجن بدون محاكمات، بدون آدمية...

- و اتهامات توجه إلينا إننا من المقاومة المسلحة السرية ..

- في ذلك اليوم جاء الإنجليز بإمدادات كبيرة لتدعيم مراكزهم في المدينة واحتلال عدد كبير من البلدان والقرى المجاورة، وكانت نية قوات الاحتلال هدم قرى أخرى بأكملها، واحتلال منطقة القنال ...

- حين وصلت هذه المعلومات لشباب المقاومة أعدوا الخطة، وقبل أن يدخل القطار المحمل بالجنود والسلاح والذخيرة نسف الخط الحديدى، فدمر القطار عن آخره..

- على صوت الانفجارات خرجت القوات البريطانية تعد بالآلاف تدعمها الدبابات والطائرات، وكانت ساحة قتال، واستمر تبادل النار بين الفدائيين والقوات البريطانية جزءا كبيرا من الليل، ثم استؤنفت المعركة فى اليوم التالى

- استشهد وجرح كثير من الأهالى والفدائيين، وقتل ثمانية عشر جنديا وضابطا من الإنجليز..

- استمرالتعذيب للأهالي و المقبوض عليهم وجردهم الإنجليز من ملابسهم ثم أوثقوهم وقوفًا على أن يرى كل منهم الآخر، وبعد برهة أطلقوا عليهم الكلاب المتوحشة، تنهش أجسادهم والموت يقترب منهم شيئًا فشيئًا، وعندئذ أمر القائد البريطانى بضربهم بالنار ثم إلقائهم على تل بجوار المعسكر حتى أرسلوا فى طلب عربة الإسعاف فشحنوهم بها شحنا إلى (أبى حماد)

- لم يكن سجاننا يتعاملون معنا برحمه بعد هذه الحادثة التي كنت أتمنى أن أكون أحد أفرادها .

- قبض علينا و استمروا في تعذيبنا ..

- أصبحت مستسلما لسياط الجلاد تارة و لاستجواب لا أرد فيه ويكتب بدلا مني تارة..

- لم يكن يخطر ببالي أنني في يوم من الأيام سأكون هنا ...

- في كل مـرة أسمـع صـوت مفاتيـج الزلزالـه يسـتقر النفـس في صـدري يأبـى أن يخـرج فاختنـق و أظـل أسـعل حتـى تـكاد روحـي تغادرنـي ...
- ضربنـا بالبنـادق علـى رؤوسـنا أصبـح بقسـوة حتـى إنـني يومـا مـا فقـدت الوعـي..
- لم أدر إلا وإني قد أفقت ..
- كل العالم حولي أسود، لا أعرف أين أنا ..مشوش ..
- رأس و يدان تساعدني على النهوض ..
- و تمتمات أفراد تدخل رأسي بدون تميز ..
- طرقـات زمـلاء الحبـس تتـوالى علـي البـاب مطالبـين بسـرعة إحضـار طبيـب أو ذهابـي للمستشـفى ..
- وبدون رحمة تركت عدة أيام على وضعي ..
- و مرة أخرى استسلمت لفقد البصر..
- كانـت نـار حمـم تخـرج مـع دمـوع العـين وآلام لا تحتمـل بعيـني .
- بعد فترة سمحوا لنا بالزيارة ..
- و ظللـت انتظـرأن يعـرف أهلـي و يحضـر أي منهـم ولا جـدوى مـن انتظـاري ..

- لقد أصبحت في عداد الموتى أو المفقودين لديهم .

- بدأ صوت أقدام زملاء الغرفة يقترب بعد انتهاء الزيارة مع ضحكاتهم التي يخفونها أمامي رأفة بحالي ومرضي ..

اقترب مني أحدهم، وضع يده علي رأسي ، تمتم ببعض آيات القرآن، لا أعرف كيف اجهشت بالبكاء، ارتميت بحضنه، لقد مر عام ولم يحتضني أحد،أمي ربما تعتقد أنني ميت الآن .

- اقترب من أذني هامسا:أنا هعالجك بالعسل النحل ده، وأخذ يدي وضعها على برطمان من العسل تغلغلت برودته إلى أوصالي و استشعرت خيرا ..

- و بدأ الحوار: أبويا عنده منحل عسل الزيارة اللي فاتت طلبت منه قطفه الملكات دي فيها الشفا ..

- سم الله و افتح عينك بس، هقطر لك فيها كل يوم، وإن شاء الله تجيب نتيجه دي متجربة .

- استسلمت له، فلم يعد لدي شئ لأخسره بعد بصري ..

- و بدات أشعر و كأنه برد وسلام ..

- حمم نيران ساخنه تخرج من عيني تسيل على خدي، و استمر الوضع أياماً و أسابيع، ربما شهراً لا أدري، ولكني أشعر بتحسن..

- وذات يـوم اسـتيقظت علـى ضـوء يدخـل بـين أجفانـي مخترقـا رموشـي لتسـتقر إضـاءه الشـمس في مقلـتي، تهديني ضـوءا أبيـض،.

- ومنـذ ذلـك الوقـت كلمـا حضـرت إلى الريـف لا تنقضـي أجازتـي إلا و أنـا أبحـث عـن رفيـق الغرفـة لأقبـل يـده الـتي داوت ظـلام ليلـي بفضـل الله و أهدتـني تلـك الإضـاءة و إن كانـت خافتـة فهـي مازالـت تنـير الحيـاة لـي ..

- ستظل سحابة ضوء .

عندما تموت الحياة

- جلست تتذكر و أمامها وريقات من ذكريات مؤلمة، وبعض من صور ممزقة، تحاول أن تعيدها إلى صورتها الأولى، تردد لنفسها تعاتبها، كيف أنها استطاعت أن تعفو عنهم، و تهديهم السماح، و يهدونها الإهمال .
- إنها الرابعة صباحا، هذا التوقيت المؤلم الذي يعيد الذكريات الممزوجة بظلمة الليل ...
- و يعيدها إلى الحياة في صورة دموع حارقه و آهات مؤلمة، وألبوم صور دائما على رف أمامها و كأنها تخشى أن تخفيه عن ناظرها فيضيع منها .
- تتذكر كيف كان هذا البيت (يشغي) بالناس و الأسرة و أفرادها و وأولادهم
- كيف كانت هناك أرواح تجمعهم حولها ..

- و كيف تعيش هي في هذه الكذبة ..
- إنها ما زالت تنتظرهم كل جمعة لتعيد أمجاد الأسرة، و ترابطها ..
- مازالت تذكر: كيف كانت تتجمع الزوجات في مطبخ البيت، تتفنن كل واحدة منهن في إبداع أشهى المأكولات والحلوى..
- الأحفاد يلعبون معا بحديقة المنزل..
- الأزواج يتجمعون بحب، و لا تنتهي الأمسيات .
- أين ذهب الجميع عنها ..؟
- لقد تبدلت الأحوال ماتت الأم بعد وفاه الأب بسنوات، صارت وحيدة هي الأخت الكبرى لهم لم يقدر لها الزواج، و صارت أما ثانية لهم أو هكذا ظنت .
- كبرت لم يكن لها ولد أو بنت تستند عليها في شيخوختها ..
- تناساها الجميع لم يعد يذكر أحد أن داخل هذه الجدران تعيش روح تشهد على ماضيهم ...
- تشهد على ما قدمته لهم من عمرها في أيامهم الصعبة ...
- عندما يكون هناك فرح إحداهن أو إحدى بناتهن أو مرض أو ولادة تجري مهرولة من قرية إلى بلد ..

- لم يخل يوم في حياتها من مساعدة عائلتها حتى صارت تلك المساعدات حقاً مكتسباً .

- اليوم تبحث عمّن يساعدها، لا تجد أحدا منهم لقد أخذتهم مشاغل الحياة ...

- تستند برأسها و هي تحتضن صورة والديها و تبث إليهما شوقها لهما و تعاتبهما على تركها بالحياة و حيدة .

- تعود لتفتح تلك الشاشة لتتابع أحداث مسلسلات الحياة التركية فهي سلواها الوحيدة الآن ..

- قط هرم تحت قدميها يموء جوعا لأنها لا تقوى على جلب الطعام له.

- تنام كطفلة لا تحمل إلا الأحلام تغمض عليها عينيها بقوة ..

- تتمنى أن تعود الأيام، و تسترق السمع إلى أحلامها و ترى الأسرة من حولها و تنادي بقوة عليهم في أحلامها ...

- الغدا جاهز ...

- فيفتح القط عينيه من هول صوتها و يقفز لينام سويا كل منهما يبحث عمّا يشبع جوعه ...

الهوامش

(١) الأراجيد :كلمة نوبية تعني البهجة أو الفرح، وهو أقدم الرقصات النوبية الأشهر في أفراح النوبيين، فتتعدد نماذجها وتشكيلاتها وهي الرقصة الوحيدة الجماعية فى مصر التي يشترك فيها الرجال والنساء

(٢) ايلا وكدود تو تاتيه :كلمة نوبية تعني تاتا تاتا يا صغير تي

(٣) انهيل: كلمة نوبية :تعني الأقارب

(٤) كال بأروكني :كلمه نوبية: تعني الأكل سيبرد

(٥) الجاكود»:

تتميز بلاد النوبة بأكلات خاصة و مشروبات تتوارثها الأجيال وهى: الملوخية ولكن على الطريقه النوبية وتسمى (بالفاديكية اترر)

(٦) كشكت موجس :كلمة نوبية :تعنى اترك اللعب

(٧) اي نوبي ما:كلمة نوبية :تعني (انا نوبي)

(٨) النوبة:بلاد الذهب كما يطلق عليها هي أرض النوبة المأخوذة من كلمة «نوب»الهيروغليفية بمعنى الذهب، وسبب التسمية ببلاد الذهب أنه في عهد الفراعنة كانت هذه المنطقة تحتوي على العديد من مناجم الذهب ..

(٩) (كولود) :تعني بالنوبية الرقم ٧ (السبوع)وهو لعدة مناسبات تقام لها بعض الطقوس...

للرقم (٧) دلالات لدى النوبيين وهنالك طقوس عقائدية تقام تحت المسمى .

وله ارتباط بالرقم سبعة .مناسبات المواليد والوفيات والزواج حيث تنزل السيدات بصحبة الأطفال إلى النهر (النيل) في اليوم السابع من المناسبة بصحبة السيدة (أم الطفل أو العروس) لتغسل وجهها سبع مرات من مياه النيل وتقفز (السيدة المعنية بالمناسبة) سبعة مرات على مبخرة مكوناتها من سبعة أنواع من البخور.

(١٠) «الأبريه» وهو مشروب رمضانى مشهور عند النوبيين ويصنع من دقيق الذرة المطحون والحلبة ويسوى على نفس صاج العيش .

(١١) «العصيدة» هى عبارة عن دقيق وماء يوضعان على النار، وبعد النضج يضاف إليهما العسل الأسود أو لبن وسمن بلدى،و من أشهر الأكلات النوبية المتوارثة من الأجداد إلى يومنا «الكرمديد» وهي دقيق وماء بالحلبة والسكر

(١٢) اتشي كوول مع الجرجوش

تعني شاي باللبن مع القراقيش

(١٣) اليم اشري كيل وه نوبا ،اركى جو تانيلى ونوبه

جملة نوبية تعني

أنت الأحلى دائما يانوبة، أنت أم البلاد يانوبة

سيرة ذاتية

- هدى غريب حسن
- شهرتها: هدى الشريف
- شاعرة وقاصة
- تقيم في مدينة السويس
- حاصله علي بكالوريوس إدارة أعمال
- محاضر مركزي بقصر ثقافة السويس
- عضو عامل ببيت ثقافه فيصل بالسويس
- عضو مجلس إدارة ،وسكرتيرة رابطة الزجالين وكتاب الأغاني فرع السويس
- منسق ورئيس قسم الحالات الاجتماعية بمؤسسة النيل للدراسات

- عضو أمانة السويس بمؤسسة الشفاء
- عضو جمعية أسوان للخدمات الخيرية
- عضو بكثير من الجمعيات الخيرية التطوعية
- عضو بالاتحاد الدولي للأدباء والشعراء
- عضوة بمؤسسة الشعراء والأدباء والمبدعين العرب

صدر للكاتبة -

صهيل الصمت : ديوان شعر فصيح

حدائق النار : مجموعة قصصية

أراجيد : مجموعة قصصية

تحت الطبع:

رواية جنوبية في الجرجار

- تشارك في فعاليات أغلب المنتديات الثقافية والأدبية في السويس والمحافظات المختلفة
- حصلت على الكثير من التكريمات وشهادات التقدير

الفهرس

التقديم ٥
من أكون ١٣
المغترب ٢٠
ساعتين زمن ٢٤
أراجيد ٢٩
أبجدية القيد ٣٥
بنات عمري ٤٠
صمت الرحيل ٤٦
حضن القدر ٥٠
آه لو تعود الأيام ٥٧
يوم الوفاء ٦٠
عودة روح ٦٥
الصقر الصغير ٧١
أنثى العنكبوت ٧٨
سحابة ضوء ٨٧
عندما تموت الحياة ٩٦
الهوامش ٩٩
سيرة ذاتية ١٠٢